

عيسى اسكندر المعلوف

تاريخ البقاع وسورية المجوّفة

(الجزء الأوّل)



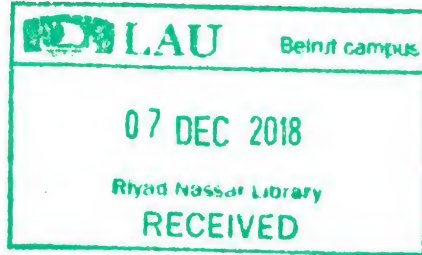
تقديم: فواز طرابلسي

إشراف وتحقيق: زهير هواري

وابراهيم مهدي



عيسى اسكندر المعلوف



A
956.9
M1117
N.1

تاريخ البقاع وسورية المجوفة

(الجزء الأول)

أي البقاع وبعليبك وسهول الزبداني وما يتصل بها وهي:
وادي الليطاني والزبداني والعاصي وبردى وجبل القلمون

تقديم: فواز طرابلسي

تحقيق وإشراف: زهير هواري

ابراهيم مهدي

دار الفارابي

2018.12.07 14:17:17

الكتاب: تاريخ البقاع وسورية المجوفة (الجزء الأول)

المؤلف: عيسى اسكندر المعلوف

تقديم: فواز طرابلسي

تحقيق وإشراف: زهير هوارى وإبراهيم مهدي

لوحة الغلاف للمستشرق الفرنسي لويس فرنسوا كاساس ١٧٥٦ - ١٨٢٧

الناشر: دار الفارابي - بيروت - لبنان

ت: ٣٠١٤٦١ (٠١) - فاكس: ٣٠٧٧٧٥ (٠١)

ص.ب: ١١/٣١٨١ - الرمز البريدي: ١١٠٧ ٢١٣٠

www.dar-alfarabi.com

e-mail: info@dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى: أيلول ٢٠١٨

ISBN: 978-614-432-900-9

© جميع الحقوق محفوظة

تباع النسخة الكترونياً عبر موقع الدار.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار.

شكر وتقدير

لا يسعني في مقدمة هذا المخطوط، إلا أن أعبر عن شكري وتقديري لكل من ساعد في إخراج هذا العمل إلى النور، وأخص بالذكر كلاً من رئيس وأعضاء المجلس الثقافي والاجتماعي للبقاع الغربي وراشيا، ورئيس وأعضاء المجلس الثقافي لرحلة وبعلبك، والأصدقاء: د. فواز طرابلسي ود. فارس أشتي ومحمد بكري والزميلتين إنعام عبد الله ومهي وهبه الخوري وسهام عبد الله. وأخص بالحب والتقدير زوجتي عاصمة أحمد رمضان، التي صبرت على صبري في العمل المضني الذي استغرق ليالٍ طويلة، فلها كل العرفان والوفاء، ولكل من مدّ يد المساعدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

زهير هوارى

تاريخ البقاع وسورية المجوّفة

تأليف: عيسى اسكندر المعلوف

وهي أبحاث مستفيضة في تاريخ سورية الوسطى أو المجوّفة، وطبيعتها وعمرانها وحضارتها وسكانها وحكامها وآدابهم وعلمائهم وسياسيهم، وآثار البلاد بتفصيل وافٍ، وتحليل أسماء الأعلام المكانية من مقاطعات وقرى ومزارع ونحوها، بحسب علم الاشتقاق العصري المبني على علم اللغات ومعارضاتها، والأساطير القديمة (الميثولوجيا) والعاديات وما يساوقها من العلم الصحيح العصري، وفلسفة التاريخ التي تُمحصّ الحقائق بكثير من التنقيب، وتسبك الكلام ذهباً إبريزاً.

تقديم لـ «تاريخ البقاع»

ببالغ السرور، احتفل بوصول كتاب عيسى اسكندر المعلوف «تاريخ البقاع وسورية المجوّفة» أخيراً إلى القراء.

لهذه المخطوطة قصة. خلال الحرب الأهلية عندما كانت مدينة زحلة تحت الحصار والقصف، فكرت بالإسهام في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مكتبة جدّي عيسى اسكندر المعلوف التي كانت محفوظة في غرفة خاصة داخل منزل ابنه الشاعر الراحل رياض المعلوف. أرسلت للخال آلة استنساخ، واشترت حقوق نشر عدد من المؤلفات بينها «تاريخ الأسر الشرقية» و«تاريخ البقاع وسورية المجوّفة»، وقد تولى الخال رياض وأفراد أسرته استنساخ المخطوطات، وتولى إخراجها من زحلة المحاصرة الصديقان رودولف القارح وكامل موسى وتمّ نقلها إلى بيروت ومنها إلى باريس حيث كنت أقيم في تلك الفترة. لم أوفق بدار نشر مستعدة لنشر «تاريخ البقاع وسورية المجوّفة» فاكتملت بترتيب أولي للمخطوطة بانتظار فرصة لم تتح إلا بعد فترة من الزمن ليست بالقليلة. وأنا مدين لمبادرة الصديق فارس أشتي الذي اقترح السعي إلى تحميل مؤسسات ثقافية وأهلية في زحلة والبقاع كلفة تحرير المخطوطة وطباعتها.

بسرعة اتفقت مع فارس على أن يتولى الصديق زهير هواري مهمة الإشراف على تجهيز المخطوطة للطبع، لما يتمتع به من تجربة بحثية ومعرفة بالمنهجية التاريخية وإلفة بتاريخ البقاع. وإني أكتب هذا التقديم بالدرجة الأولى لأحبيّ زهير وفريقه على ما بذلوا من جهود من حيث الترقيين وإعادة التنظيم والتبويب والبحث عن الكلمات المبهمة، في مخطوطة نسخت على آلة استنساخ بدائية، وضبط الأخطاء، ووضع العناوين والهوامش الضرورية وغيره. وأحيي فوق هذا كله دور زهير هواري الشخصي في صرف وقت ثمين

للإشراف على هذا العمل وفي تحرير المخطوطة بصيغتها النهائية. وقد رافقت تلك المراحل كلها وأعرف إلى أي مدى كانت المهمة دقيقة ومضنية، وكم استغرقت من وقت وتطلّبت من صبر وجَلَد.

ألّف عيسى اسكندر المعلوف في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والآثار والموسيقى والتربية والمرأة والرياضيات والثقافة الشعبية. وكان سباقاً في ارتياد هذا الميدان الأخير بأدوات ومنهجيات حديثة. فهو واحد من رواد علم الفولكلور، وقد جمع الأمثال والعادات والتقاليد الشعبية وحلّلها، إضافة إلى الشعر العامي بتنوعاته المختلفة. وهو من أوائل من اشتغل على ردّ العامي إلى الفصحى وعلى اللهجات العربية. هذا عدا عن شغله في تحليل أسماء الأشخاص والأماكن. بسبب هذه الإحاطة العلمية الموسوعية استحق عيسى اسكندر المعلوف لقب «العلامة»، خصوصاً أنه انتمى إلى الورثة المباشرين لنهضوي القرن التاسع عشر.

لن أضيف الكثير إلى المقدمة المستفيضة التي كتبها زهير هواري عن سيرة المعلوف ومنهجه.

أود التشديد على أن «تاريخ البقاع وسورية المجوّفة» لعيسى اسكندر المعلوف هو - على حد علمي - التاريخ الحديث الوحيد لسهل البقاع عبر التاريخ، وفي مختلف نواحي حياته المعاصرة. بدأ المعلوف جمع مواده، وباشر التأليف قبل ترسيم حدود اتفاقية سان ريمو في عشرينيات القرن العشرين. وقد اعتمد التعيين الجغرافي الإغريقي القديم «سورية المجوّفة» Coele-Syria بما هي المنخفض بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية، أي ما سمّي «البقاع البعلبكي والعزيزي» أو ببساطة سهل البقاع. وقد استخدمت تسمية «سورية المجوّفة» أحياناً للدلالة على ما هو أوسع من ذلك. في العنوان الأصلي لكتابه عرّف المعلوف «سورية المجوّفة» على أنها تشمل «البقاع وبعلبك وسهول الزبداني وما يتصل بها وهي وادي الليطاني والزبداني والعاصي وبردى وجبل القلمون»، مع أن معظم مادة الكتاب تكاد أن تنحصر في تاريخ سهل البقاع من شماله إلى الجنوب.

من جهة ثانية، يجدر التنويه بمدى تنوع نتاج عيسى اسكندر المعلوف في حقل

التاريخ. فقد أنتج في التواريخ العامة والتواريخ المحلية والسير الشخصية وتواريخ المهن والحرف وعلم الأنساب. في هذا الأخير لا بد من ذكر «تاريخ الأسر الشرقية»، موسوعته الواقعة في أكثر من أربعة آلاف صفحة مخطوطة، التي نجحت في تحرير القسم الأول منها المخصص لأسر لبنان الذي صدر في سبعة أجزاء عن دار رياض الريس (بيروت، ٢٠٠٧).

يندرج «تاريخ البقاع - سورية المجوّفة» في سلسلة من التواريخ المحلية عن المتن ووادي التيم وزحلة وأنطاكية وحوران ودمشق وصيدنايا وفلسطين وغيرها. في السير الشخصية. يذكر للمعلوف تأريخه لفخر الدين المعني الثاني والأمير بشير الثاني وإبراهيم باشا المصري وظاهر العمر في فلسطين، ومن المعاصرين، الأسرة اليازجية والبطريك غريغوريوس الرابع حداد وغيرهم. إلى هذا، عمل المعلوف على تواريخ المهن، ومن أعماله تاريخ الطب عند العرب وتاريخ الصناعات الحرفية الدمشقية.

في الختام، يقتضي التذكير بأن محتويات مكتبة عيسى اسكندر المعلوف انتقلت إلى مكتبة يافث في الجامعة الأميركية ببيروت حيث بات بالإمكان الاطلاع على ما تحويه الخزانة المعلوفة من كتب ومجلات وسفائن ومخطوطات عربية قديمة وقيمة، إضافة إلى مؤلفات عيسى المعلوف ذاته. فعسى أن يوفر ذلك فرصاً لم تكن متاحة من قبل لدراسة محتويات المكتبة وأعمال المعلوف، بل لعل ذلك يشجّع على نشر تلك الأعمال التي لا يزال القسم الأكبر منها مخطوطاً.

فواز طرابلسي

بيروت ٢٠١٨/١/٢

مقدمة المحقق

المؤرخ المعلوف وتاريخ

البقاع وسورية المجوفة

نادراً ما يحتاج إنجاز عمل أو مؤلف إلى ما احتاجه «تاريخ البقاع وسورية المجوفة» من المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف^(١)، إذ يصعب تحديد عمر زمني دقيق لبدايته أو لانتهاؤه منه. فنحن نعلم أنه بدأ الاهتمام بالموضوع منذ قرابة العقد الأخير من القرن التاسع عشر، إن لم يكن قبل ذلك، وأنه كتب الخاتمة في العام ١٩١٧، بينما كانت الحرب الكونية الأولى تنشر حُممها شمالاً وجنوباً.

لكن كتابة الخاتمة لم تكن خاتمة العمل على هذا المؤلف. إذ ندرك أنه وحتى الأعوام الأخيرة من حياته، ظل يعمل عليه حتى وافته المنية من دون أن يتمكن من نشره. وعليه، يمكن القول إنه استغرق منه أكثر من خمسين عاماً، تدل على ذلك جملة المواد التي كان يضيفها إلى الأصل، حتى وصل إلى ما وصل إليه. وكان المعلوف منذ البداية يدرك ثقل المغامرة التي يخوض، لذلك تراه تارة يتحدث عن كتاب، ثم عن مؤلف ضخّم عدد صفحاته ليس أقل من ألف صفحة، وطوراً عن كتاب قد يصل إلى ألفي صفحة. مع ذلك، يجب أن نبدأ من المؤرخ المعلوف قبل أن نعود إلى مخطوطته التي أسماها «تاريخ سورية المجوفة» وأضفنا إليها تعبير (تاريخ البقاع) وكيفية العمل عليها.

(١) أنظر ترجمته في: النبوغ اللبناني لأنيس نصر ١: ٢٦١، والقاموس العام لحنا أبي راشد ١: ٢٢٩، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ص. ١٧٦٥، تويز الأذهان في تاريخ لبنان لأسود ١: ٥٣١، تاريخ الصحافة العربية لطرازي ٢: ٢٣٤. (المحقق).

ولد عيسى اسكندر المعلوف في قرية كفرعقاب عام ١٨٦٩ وكانت وفاته في العام ١٩٥٦، مما يعني أنه عاش ٨٧ عاماً. وفي كفرعقاب حيث وُلد، تلقى دروسه الابتدائية، ثم انتقل منها إلى مدرسة الشوير التابعة لإرسالية إنكليزية، ومع أنه غادرها بعد عام، إلا أن مناخ الأسرة وشغفه بالمطالعة مكّناه تبعاً من زيادة معارفه، حتى تمكن من إجادته ثماني لغات. على أن اللغات لم تكن مركز شغفه لذاتها، بل لما تفتحه أمامه من آفاق. بعد مغادرته مدرسة الإنكليز، عمل في التدريس في مدرسة الآباء اليسوعيين في قريته كفرعقاب ثم في مدرسة كفتين الأرثوذكسية في شمال لبنان، حيث بدأ خلالها في إصدار مؤلفاته وكتاباته الشعرية. ومع مطلع العام ١٨٩١ أصبح كاتب إدارة «جريدة لبنان»، لصاحبها إبراهيم بك الأسود، وهي صفة لا مرادف لها في عالم صحافة اليوم، إذ تبدأ من أعمال التصحيح إلى التحرير إلى وضع العناوين ومراقبتها قبل الصدور. أي إنه المصحح والمحرر وسكرتير التحرير ورئيس التحرير. البعض يقول: إن الافتتاحيات التي كانت تصدر باسم صاحب المطبوعة الأسود كانت فعلاً بقلم المعلوف.

أيّا يكن، سيشهد المعلوف حدثاً يغيّر مجرى حياته وهوزواجه من نسبته عفيفة المعلوف، فنراه بعدها ييّم وجهه نحو زحلة حيث يتابع ما سبق وبدأه من مهنة التدريس والصحافة. ومع بداية القرن العشرين نراه في الكلية الشرقية مدرّساً للعربية والإنكليزية والرياضيات، من دون أن يتعد كثيراً عن مهنة الصحافة، بدليل تأسيسه داخلها مجلة «المهذب» التي كانت تصدر مكتوبة باليد أولاً، ثم طباعة لاحقاً. من مدخل هذه المجلة، سيدلف المعلوف إلى عالم التاريخ والآثار. فقد نشر فيها فصولاً عدة عن تاريخ زحلة، تطورت في ما بعد إلى كتابه المعروف والمطبوع عدة مرات باسم «تاريخ زحلة». و«المهذب» ستتحوّل لاحقاً إلى مجلة «الشرقية» التي كان يحررها مع طلابه. في غضون تلك الفترة بدأ المعلوف أشد ميلاً إلى الاهتمام بالآثار، وهو الميل الذي رافقه إلى العام ١٩١١ عندما أصدر مجلة شهرية سماها «الآثار». قد يكون المعلوف تأثر بابن خاله الياس فارس المعلوف الذي عمل مع البعثات العلمية الألمانية التي حطت رحالها في بعلبك، ونقبت عن آثار «دير حلف» وغيره برئاسة المستشرق البارون فون أوبنهايم. وإقامته في زحلة ستغيّر مجرى حياته بالكامل

وتقوده إلى مغادرتها نحو بعلبك حيث عمل مشرفاً على آثارها، ثم إلى دمشق حيث تولى تأسيس مجلة «النعمة» الشهرية بإيعاز من البطريك غريغوريوس حداد المعروف ببطريك العرب. ومنها انتقل إلى الالتحاق بالثورة العربية، وفيها تولى إشغال وظيفة «شعبة الترجمة والتأليف» في عهد الملك فيصل الأول في العام ١٩٢٠، والتي تحولت لاحقاً إلى «مجلس المعارف» ثم إلى «المجمع العلمي العربي» بعد سقوط الحكم العربي في دمشق في أعقاب معركة ميسلون. وهو ما نسج على منواله لاحقاً، عندما عمل مع عدد من الأدباء على تأسيس «المجمع العلمي اللبناني» في بيروت عام ١٩٢٨ والذي لم يعمر سوى عدة سنوات، لينتمي بعده إلى «مجمع فؤاد الأول» في مصر الذي تحوّل اسمه إلى «المجمع العلمي العربي» في القاهرة، التي تردد عليها كثيراً لمتابعة اجتماعات المجمع من جهة، وللمشاركة في الندوات وإلقاء المحاضرات ونشر المقالات في مجلاتها وصحفها المعروفة من جهة ثانية.

خلال هذه السنوات، كانت شخصية المعلوف تتبلور تدريجاً، إذ إن إقامته في زحلة، فتحت له أبواب دمشق مع إقامته فيها ومشاركته في حياتها الثقافية، وفيها اطلع على خزائن كتبها المنشورة منها، أو ما كان في حيازة الأفراد أو في المساجد والكنائس، ومعظمها مجرد مخطوطات مكتوبة بخط مؤلفيها أو من نقلوا عنهم. ستقوده أيضاً عضويته في «مجمع فؤاد الأول» إلى التردد على مصر حيث نسج خلالها علاقات واسعة مع نخبتها الثقافية والعلمية، وحصل منهم على الكثير من المخطوطات والكتب التي كانت تصدرها مطبعة بولاق الذائعة الصيت وغيرها، فيتحوّل بعضها إلى مواد صحافية بقلمه في أشهر المجلات العربية المعروفة آنذاك.

يمكن القول إن شخصية المعلوف الثقافية - العلمية هي نتاج تفاعل عناصر متداخلة. باكورتها من خلال بيئته المنزلية بداية، وهي بيئة سواء أكانت في كفرعقاب أو زحلة مفتوحة على حداثة مطالع القرن العشرين وثقافته وفي القلب منها اللغة العربية وآدابها. وهو ما نلمسه في أسرته على أي حال رغم انشغالاته عنها وأسفاره وغوصه بين المخطوطات والمؤلفات وإلقاء المحاضرات والكتابة والنشر. أما الجانب الموازي، فهو انخراطه في معترك الحياة العلمية في بيروت ثم دمشق والقاهرة. يعزز ذلك ثقافة عالمية من خلال

اللغات التي أجادها، واتصالاته التي كانت تجد ترجمتها في تواصله مع كبار كتّاب المرحلة من أساتذة وخريجي المؤسسات الأكاديميتين في لبنان: الكلية السورية الإنجيلية - الجامعة الأميركية لاحقاً - وجامعة القديس يوسف - الجامعة اليسوعية، وكذلك مع جملة المثقفين العرب في دمشق ومصر. لكن الأهم من ذلك كله، هو شخصيته المثابرة التي لم تعرف الكلل والملل طوال حياته. ربما كانت المؤلفات التي أصدرها المعلوم في حياته متواضعة من حيث العدد، إذ لم تتجاوز التسعة عشر كتاباً، لكن مخطوطاته هي الأساس، إذ تربو على ستين مخطوطاً بعضها يتكون من أجزاء عدة كمخطوطة «الأخبار المدونة والمروية في أنساب الأسر الشرقية» الذي نشر منه حفيده الزميل والصدّيق فواز طرابلسي ما يتعلق بالأسر اللبنانية تحت عنوان «تاريخ الأسر الشرقية» في سبعة أجزاء عن دار رياض نجيب الريس في بيروت العام ٢٠٠٧. الآن مكتبة المعلوم بما فيها مخطوطاته باتت ملكية لدى مكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت.

المعلوم مؤرخاً

بداية لا بد من القول إن المعلوم واحد من أغزر المؤرخين والعلماء إنتاجاً، وإن إنتاجه توزع في مناحٍ عديدة، إذ شمل الأدب والتاريخ والآثار والحضارة والعادات والتقاليد واللغات واللهجات والمصطلحات والمهن والأسماء ومعانيها وغيرها من الصنوف التي كتب ونشر حولها. ومما ساعده على ذلك، مكتبة قلّ مثيلها في لبنان وربما في المنطقة العربية. فقد حوت مكتبته مئات المخطوطات النادرة، وآلاف الكتب المطبوعة في مختلف علوم التاريخ والفلسفة والأدب والطب والفلك والزراعة والصناعة والآثار وسواها. بالطبع نحن نتحدث عن مرحلة بين مفرقي القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث عجلة دولاب المطابع لم تطلق طاقتها القصوى بعد. حينها كانت الكتب، ناهيك بالمخطوطات، خارج تناول المهتمين. بالطبع لم يكن المعلوم من أولئك الذين يرصفون الكتب في صالونات بيوتهم للتباهي بمنظرها، إذ يندر مثيله على صعيد الاستفادة مما توافر لديه. وقد عمل جاهداً على نقل ذلك إلى الآخرين من خلال مؤلفاته ومقالاته التي نشرها في أهم صحف ومجلات

لبنان وسوريا ومصر والعراق، من دون أن نتحدث عن تلك التي كانت تجد طريقها إلى النشر في المطبوعات المهجرية، التي يصدرها لبنانيون وعرب في عواصم ومدن ديار الاغتراب. يعتبر المنهج التاريخي للمؤرخ المعلوم نتاج المدرستين العربية والغربية. والمقصود بذلك اعتماده المنهج الشامل، إذ إنه في التعامل مع مادته التاريخية، يعمد إلى متابعة المدرسة الشرقية التي ترى في الأحداث السياسية الأصل، وهي تتكون من سلسلة غير منقطعة من التطورات لا يمكن استيعابها دون تتبع حلقاتها عبر السنين، أي عبر ما يسمّى بالحواليات التي تتابع الحدث مقسماً على عدد من السنين. يمكن ملاحظة بصمات هذا المنحى في معظم مؤلفاته، ولا سيما «تاريخ البقاع وسورية المجوفة» لدى تطرقه إلى الجانب السياسي. ولكن اللافت هو اعتماده أحياناً على أخبار وروايات متداولة من دون سند تاريخي رصين، سوى أنها وردت في مخطوط هذا أو ذاك، أو من محفوظات هذه العائلة أو تلك. لكن الاكتفاء بذلك، هو تبسيط أو تقليل من أهمية المنهج الذي اعتمده وسار عليه طوال حياته. وهو منهج تفرد به عن مؤرخي تلك المرحلة.

وهنا لا بد من أن نشير، إلى أن مصطلح سورية المجوفة الذي اعتمده هو مصطلح يوناني بالأصل، ويشمل ما يمكن تسميته سورية الداخلية التي تقع بين بادية الشام والصحراء والمناطق الجبلية الغربية والساحلية من لبنان اليوم. وهي تضم: سهل البقاع بقسميه البعلبكي والعزيري ووادي التيم وجبل الشيخ وأجزاء من جبل عامل وشمال فلسطين ودمشق وحماة وحمص والزبداني والقلمون. وقد يمتد المصطلح ليشمل أجزاء من الساحل ولاسيما طرابلس وصور. وعليه، فقد نظر إلى هذه المنطقة كوحدة جغرافية، وتعامل معها كونها وحدة حضارية، وبحث ونقّب وبذل جهده لإثبات ذلك من خلال العناصر المادية والثقافية معاً.

وبالعودة إلى منهج المعلوم، يمكن وبسهولة، رصد العناصر التالية في مؤلفاته عموماً ومؤلفه هذا خصوصاً:

- اعتبار كل ما هو أمامه قابلاً للبحث والتحليل، ولا يخرج عن هذه القاعدة كل ما هو أمامنا مما نعرفه ونعود عليه دون اهتمام، أو لا نعرفه عن العوامل المحددة لما

تدل عليها الأسماء خصوصاً. يستوي في ذلك اسم القرية والمدينة والنهر والجبل والوادي والأشخاص. بالطبع ارتكز هنا المعلوف على ما يعرفه من لغات، ولكنه في الوقت ذاته، طرق أبواب من يعرفهم سائلاً مستفسراً عن الكلمات والعبارات الواردة والمتداولة على الألسنة، أو منقوشة على الأحجار خصوصاً، مناقشاً في دلالات الأسماء والمسميات، سعياً للوصول إلى الجواب الشافي أو محاولة الجواب على ما وصلنا منها محوَّراً أو معرباً. أي إنه اعتمد علم دلالات الأسماء، وبحث في المخزون التاريخي عن أصولها، جاهداً من أجل اكتشاف ما طرأ عليها من تحوير تراكمي.

المزج بين علمي التاريخ والآثار. وهذه واحدة من القضايا العالقة إلى اليوم في كتابة التاريخ، فالآثاريون يعملون بمنهجهم في ما توصل إليه علم الآثار وأعمال الحفر والتنقيب، والمؤرخون يشتغلون على المصادر المدونة في المصادر المختلفة منفصلين عن بعضهما بعضاً. لكن المعلوف، لم يكتف بما تنطق به المكتشفات الأثرية، بل غاص عميقاً في تتبع كل معلّم وقطعة نقد وحجر وشكل جمجمة أو بقايا هيكل بشري. واللافت أن المعلوف يتابع الأثر منذ لحظة اكتشافه إلى ما تلاها، لذا يخبرنا أن تلك القطعة قد نُقلت إلى بيروت، أو استقرت في يد من نقلها إلى ألمانيا أو فرنسا وغيرهما، وبكم بيعت، وكيف ارتفع سعرها خلال عملية التنقل والتداول.

معاينة المواقع سواء أكانت مواقع جغرافية وقطعاً أثرية وخرائب وبقايا مهمة، أو قرى وبلدات عامرة وقلاعاً وحصوناً وأنهاراً وشلالات ومناجم وغيرها. بدأت هذه العملية معه خلال نشره مجلة «الآثار»، واستمرت ديدنه في المراحل اللاحقة سواء من خلال وظيفته في قلعة بعلبك حافظاً لآثارها، أو عبر العمل على مؤلفه. هناك الكثير من الخرائط التي يرسمها للطرق والمواقع وأبعادها عن زحلة وبعلبك ودمشق وغيرها من مدن رئيسة، لكن معها أيضاً، الوصف العياني ورسمه أو تصويره لهذا المعلم أو ذاك.

التركيز على الجوانب العمرانية والحضارية، وهو أمر تجاوز فيه من سبقوه أو لحقوه من مؤرخين لبنانيين كبار. صحيح أنه ترك حيزاً للتاريخ السياسي وجملة الصراعات التي شهدتها حقل البحث، لكنه في الوقت ذاته، لم يترك شاردة أو واردة تمر دون

تدوينها أو تقديم وصف تفصيلي لها، إن لم يكن من خلال معاينتها بنفسه، فعبّر كتابات من قاموا بذلك من سياح ورحالة ومعاصرين ومؤلفين أثريين ومواطنين. أي إن المؤرخ المعلوف يعود بنا إلى الوراء بعيداً، وفي الوقت ذاته، يقدم الراهن بما هو النشاط البشري المعاصر له بما هو اقتصاد وعلاقات عمل وملكية ونشاط اجتماعي.

يولي المعلوف الجوانب الاقتصادية من صناعة وزراعة وتجارة وحرف محلية أهمية قصوى. ويحدد مواضع توافر المعادن ونوعيتها وزمن الاستخراج وكمياته وأسعاره وأسماء مكتشفيه ومستثمريه من لبنانيين وأجانب، ولا يغفل عن تأثيره في البيئة (خصوصاً في الغابات). والمشتغلون في الحرف وأسماء القرى وأسباب ذلك وكيفية التصنيع وأسواق التصريف. كما يحدد كمية ما ترويه الأنهر والينابيع من مساحات، وينتقد الأساليب القديمة السائدة في استثمار الطاقة المائية التي يمكن توسيع قاعدتها عبر المحطات الكهرومائية والسدود، لحجز المياه الشتوية والإفادة منها صيفاً في الري، وتوفير الطاقة الكهربائية للإضاءة وتسيير القطارات. وينادي باعتماد الطرق والأساليب العلمية وغرس الأصناف الحديثة في الزراعات، ولا سيما الكروم والتفاح والقمح المؤصل، وتأمين تصريف الإنتاج الحرفي وإنعاش المشتغلين فيه من الأهالي.

يستند المعلوف إلى عدد هائل من المخطوطات التي سعى للحصول عليها وسأل عن مقتنيها كل من يمكن أن يقدم له جواباً حتى وصل إليها ونقل بعضها بخط يده، وقلب صفحاتها بإمعان، واستخلص منها ما يلائم موضوعه. وبين الكتب المنشورة والمخطوطات التي كانت قابضة في الخزائن ومن خلال استخدامها في بحثه، أحيا ما كان مواتاً ولم نكن نعرف عنه شيئاً. إذ يتابع المعلوف الشخص أو موضوع البحث في شتى المصادر المعرفية بما فيه الروايات الشعبية، وينقل لنا ما قيل فيها على ألسنة الرحالة من عرب وأجانب. ويشمل ذلك ما قيل فيها شعراً ونثراً، ويعرفنا إلى القائلين وتاريخهم.

لم يرذل المؤرخ المعلوف الأساطير والخرافات، إذ تعامل معها على أنها تحوي وقائع تاريخية، تقولت في أشكال من المعتقدات القديمة ذات الجذور البعيدة الغور في

التاريخ القديم، والكثير منها لا يزال على قيد الحياة إلى اليوم، وإن بصيغ موهة. وبهذا المعنى يصبح التاريخ رغم تقلب السلطات والدول والشعوب بمثابة عجلة تسير إلى الأمام، بعد أن تمت صياغتها عبر تطورات عميقة لا قبل لأحد بتغييرها أو تعديلها. فقد تفاعلت شعوب وثقافات ولغات كثيرة في هذه البوتقة المحددة المسماة سوريا المجوفة وكونت شخصيتها التي يباهي بها المعلوف الحضارات الذائعة، كالفرعونية والبابلية والآشورية وغيرها.

- لا ينطلق المعلوف في تتبعه لموضوعه بما يتصل بحقل البحث من حدود سياسية، رغم بروز سايكس-بيكو وبدايات كيانية. صحيح أنه بدأ مؤلفه قبل ولادة دولتي لبنان الكبير وسورية وقيام الحدود بينهما، لكن هذا التطور لا يشنيه عن تتبع بحثه في منطقة يعتبرها ذات شخصية حضارية واحدة ضمن أي حدود وقعت. مع أنه يقول إن هذه القرية أو غيرها كانت في لبنان، فباتت من سوريا والعكس. كما أنه لا يقف عند مرحلة حضارية لجعل منها المثال والأنموذج، على العكس من ذلك تماماً، فإذا كان الجذر الحضاري محمولاً على عاتق المرحلة الوثنية، فالأديان السماوية التي جاءت في مراحل لاحقة بنت على المداميك التأسيسية الوثنية السابقة لها، وإن كانت قد عدلت وحوّرت بعض معالمها لتتلاءم مع معتقداتها التوحيدية. وهكذا تحول المعبد الوثني إلى كنيسة، والكنيسة أحياناً إلى مسجد.

- يدمج المعلوف وعلى نحو ريادي بين مستويات البحث كافة. وهو وإن كان ينطلق من التاريخ القديم ويستنتق المعالم الأثرية واللغوية في تقديمها، إلا أنه في الوقت ذاته يوسع من دائرة مساعيه لتقديم موضوعه إلى ما يهم. وما يهم بالنسبة إلى المعلوف، ليس الماضي الذي يستحق الصيانة والحفاظ على دقائقه وتفصيله، باعتباره إراثاً لا تُقدر قيمته المادية والروحية، بل المستقبل. يتضح التركيز على المستقبل على نحو ناصع، عندما يتحدث عن الصناعة أو الزراعة أو الحرف والسياحة، فتراه يعبر عن قدرة الإنسان في هذه المنطقة على اجتياز الصعاب والتقدم من خلال استغلال الموارد

وتوظيفها وتأمين مستوى مرموق من العيش بدل حال الفاقة وشظف العيش. ومثل هذا، لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال العلم واعتماد الأساليب الحديثة.

- يخصص المعلوف أبحاثاً ضافية لتراجم المشاهير من أبناء سورية المجوفة في كل مجال ومضمار، بدءاً من الحكام الذين تعاقبوا على حكمها وسلطاتها، مروراً بالإداريين من حكام وأمرأ وقائمين الذين تناوبوا على إدارة شؤونها في العصور المختلفة منذ المراحل الآرامية والآشورية والبابلية واليونانية والرومانية، وصولاً إلى المرحلة العربية بمختلف مسمياتها أموية وعباسية وأيوبية ومملوكية وعثمانية وفرنسية. وكذلك من تولوا شؤون أسقفياتها والمفتين وعلماء الدين والأكليروس. لكن من يحظى باهتمامه الخاص، هم العلماء والفقهاء قديماً والشعراء والصحافيون حديثاً. وينبش من المصادر والمخطوطات وينقل لنا حرفياً ما ورد حول أحوالهم وحياتهم ومؤلفاتهم وعلاقاتهم وتنقلاتهم ومدارسهم ومعلميهم، والمهم من أحوالهم وكل ما يتصل بهم مما أوردته المصادر التاريخية. ومع أنه يقدمهم كأبناء للمنطقة إلا أنه يعيد نسبتهم إلى مذاهبهم: (حنفي، مالكي، حنبلي، صوفي قادري وما شابه) وإلى طوائفهم (مسلم حنفي وشافعي ومالكي وحنبلي وشيعي. ومسيحي كاثوليكي أو أرثوذكسي صابئي وغيره) خصوصاً للقديماء منهم، عندما كان الحرص في ذروته على تحديد الانتماء للمذهب والطائفة والأصول القبلية والعشائرية والمناطقية.

- لا يتجاهل الجانب السكاني في مؤلفه كأعداد وعائلات ومهن وصراعات ومعتقدات وطرائق عيش. ويحيل مراراً وتكراراً من يرغب بمزيد من الاطلاع على جذور هذه المجتمعات إلى مؤلفه الكبير في «أنساب الأسر الشرقية» أو إلى «دواني القطوف» أو إلى «تاريخ زحلة»، وكذلك إلى مصادر كثيرة مطبوعة أو مخطوطة طالعها، ويرسم أحياناً سلاسل للعائلات في هذه القرية أو تلك البلدة والمدينة ويتابعها في تنقلاتها وأسمائها القديمة وتحولاتها الحديثة بما فيه تنقلها بين الطوائف والمذاهب وسبل المعاش والإقامة والهجرة، تبعاً لما توافر لديه من معطيات.

- لا يغفل في مؤلفه عن الإشارة إلى الكوارث الطبيعية (الزلازل والسيول الجارفة

وموجات الجفاف) وما تخلفه من نتائج وضحايا من البشر وتدمير للممتلكات وجرف المنازل والبساتين ونفوق الحيوانات، ومواسم زراعية وإنتاجية الزراعة في سنوات محددة والأسعار السائدة في حينه للمواد الاستهلاكية الأساسية من حبوب ولحوم وألبان وأعلاف تبين وشعير للمواشي. ويعرض الصعاب التي يلاقيها الناس في حياتهم جرّاء الظلم والتعديت والصراعات الزعامية بين الأمراء والولاة، والتي يدفعون ثمنها من دمائهم وأرزاقهم، وكذلك يتوقف عند تأثير انتشار الأمراض والأوبئة في السكان في المدن والأرياف وعدد الوفيات، ويقدم شهادات صادقة ممن عاينوا وقائعها ولمسوا نتائجها من خلال ألسنتهم وأقلامهم.

عن مخطوط «سورية المجوفة»

معظم المخطوطة مكتوب على ورق عادي يقارب حجمه حجم ورق A4 الحالي. ويستعمل المؤرخ المعلوف قلم حبر أسود وأحياناً قليلة الريشة في الكتابة، وهناك أوراق خارج هذا النسق. ويبدو أنها ناجمة عن معلومات توافرت لديه خلال القراءة في مكان ما، فدوّنها على ما توافر لديه من ورق. كما أن هناك صفحات مصورة مأخوذة عن صحف ومجلات مما سبق ونشره خلال عمله على موضوعاته. لكن ما يجدر ذكره أن هناك صفحات مصورة من الصحف ليست له، لكنه وضعها ضمن محفظة أوراقه باعتبارها تدخل في موضوعه، دون أن يحدد كيف سيستفيد منها في أبحاثه. خط المؤلف جميل وسلس وتمكن قراءته بسهولة في حال كانت الصفحات في حال سليمة. وهنا تكمن أجزاء من المشكلة، فالمخطوطة، كتبها مؤلفها على امتداد زمني قد يتجاوز النصف قرن، وتم تخزينها في ظل ظروف متقلبة تعرضت فيها للحرارة المرتفعة صيفاً والرطوبة والبرودة القاسية في زحلة شتاءً على مدى زمني قد يمتد إلى حدود القرن من الزمن، ما جعل إمكانية القراءة متعذرة، بعدما فعلت عوامل المناخ فعلها في الورق المستخدم.

بعض الصفحات التي عانت أعطاباً كبيرة، حاول نجل المؤرخ المعلوف الشاعر رياض المعلوف نقلها ثانية بخطه، وهو خط لا يتمتع بجمال ورشاقة خط والده، لكنه مقروء على

الإجمال. لكن عملية تصوير المخطوط التي تمت في نهاية سبعينيات القرن الماضي، وأوائل القرن الجاري، جرت على أجهزة سابقة للأجهزة الرقمية عالية التقنية المستعملة اليوم، قادت إلى جعل صفحات غير مقروءة بالكامل، أو إلى اجتزاء أقسام من النص في العديد من الصفحات وخصوصاً في الجهتين اليمنى أو اليسرى أو إحداهما.

لكن المشكلة الأكبر تكمن في موضع آخر فعلاً. إذ إن المعلوف عندما كان يعمل على المخطوط، لم يكن متفرغاً للعمل. لذلك كان يترك مساحات بيضاء أو أسماء مغفلة يتوقع أن يعتمد في مرحلة لاحقة إلى وضعها وتدوينها بعد التأكد من معطيات المصادر التي أوردتها، وظهرت في خاطره في لحظة الكتابة. المؤسف أن هذه المساحات ظلت بيضاء في الأصل. وكان من الصعب العثور على المصدر الذي استقى منه المعلوف معلوماته لوضعها في سياق النص. كما أنه لم يصل إلى مرحلة إعداد فهرس نهائي يلتزم السير بموجبه. كان يسعى إلى جمع المعلومات من مصادرهما ويحاول ترتيبها. وقد طال الزمن في العمل، إلى حد بات يحتاج معه إلى جهد وتفرغ، لم يكن يملكه وسط صخب حياته العلمية والتعليمية والثقافية، وعندما وضع فهرساً على الصفحات الأولى من مؤلفه، لم يستطع إكماله ليشمل ما وصل إليه وصاغه، بالنظر إلى أن المادة التي كان يجمعها تباعاً كانت متحركة ومتداخلة ومتصاعدة، رغم وحدة الموضوع، بالنظر إلى غياب الفصول وعملية إعادة البناء المطلوبة. لذا نلاحظ أن الفهرس الذي وضعه لا يصل إلى نصف عدد صفحات المخطوط، إن لم يكن أقل بكثير. علماً أن في القسم الأخير من المخطوط، ما يشبه الفهرس غير المكتمل أيضاً، وهو شبه مكرر عن الأول. أي إننا أمام فهرسين من وضع المؤلف غير مكتملين على الصعيد الفعلي. ما يعني صعوبة الالتزام بأي منهما، لاسيما وأن تقطع البحث وامتداده الزمني على النحو الوارد، يقود إلى تشتيت القارئ، وتعذر تقديم المخطوط على النحو المأمول.

على أن ما ضاعف المشكلة ليس مصدره هذا، إذ إن الترقيم الذي وضعه المعلوف لمؤلفه في الفهرس، لم يتحوّل إلى أرقام على رؤوس الصفحات. وقد تغير بعده ما بين ثلاث إلى أربع مرات. ما يعني أن المواد لم تعد في مواضعها الطبيعية في المخطوط. وهكذا باتت لدينا عمليات ترقيم متداخلة للمواد نفسها. ولعل هذا بالضبط، ما عوّق نشر المخطوط قبل

هذه المدة. فالمحاولة التي بذلها ابنه الشاعر الراحل رياض المعلوف رغم الجهود الرائدة التي قام بها، لم يكتب لها النجاح. ومن يطلع على المخطوط بالصورة التي استقر عليها إذ ذاك، ولدينا صورة عنه، يدرك ما كان يمكن أن يتعرض له مثل هذا الأثر الثمين من تشويش وتشوه في حال اعتماد الترتيب المعتمد للصفحات. إذ الواضح أن ترتيبه على ذلك النحو، قاد إلى اختلاط المواد وتشابكها على نحو مدهش، إذ يمكن أن نعثر على مادة لموضوع محدد في القسم الأول من المخطوط، وعلى استكمال لها، أو جزء منها في القسم الأخير من المخطوط، أي على بعد عشرات إن لم نقل مئات الصفحات.

على أي حال، لم يكن العمل على المخطوط عبارة عن نزهة صيفية، إذ كانت الخطوة الأولى تتمثل في ترقيته أو نقله إلى مرحلة الطباعة الرقمية. وكان التحدي الأهم يتمثل في الآلية التي يجب اعتمادها لتحقيق ذلك. ولما كان يتعذر على الفنيين في الطباعة قراءة الخط، وبالتالي إعادة تقديم النص كما أراده كاتبه، فقد كان المطلوب هو إعادة كتابة وإملاء النص بلغة عربية واضحة. وهكذا كان، فبعد أن فشلت عملية المساعدة على فك الرموز اللغوية الواردة فقط، عمدنا إلى نسخ المخطوط كما هو. لكن مثل هذه العملية لم تكن سهلة بدورها، ولم تشفع بها جودة خط المؤلف، إذ إن عوامل الاهتراء والتلف التي تعانيها صفحات أو أقسام من النسخة المصورة التي زدنا بها الصديق فواز طرابلسي، جعلت الأمر على نحو بالغ الصعوبة. وتطلب وضع على هذا النحو استعمال مكبرات بصرية وأجهزة رؤية ضوئية لتفكيك بعض الكلمات والحروف المغلقة. ولم يتغير الوضع كثيراً في النسخة المصورة التي حصلنا عليها من الصديق فارس أشتي، وهي نسخة مجلدة مصدرها كلية الآداب في الجامعة اللبنانية - الفرع الرابع. وقد اعتبرنا النسختين نسخة واحدة بالنظر إلى أن العملية لم تترافق مع نسخ للمخطوط، وإنما فقط التصوير. وهنا ظهرت عقدة الترقيم مجدداً. كما أن هناك اختلافاً بين المخطوطتين، أي إن بعض ما يتوافر في إحدهما قد لا تجده في الأخرى، مما يدفع إلى طرح أسئلة وتساؤلات. وهو ما كان يوجب المقارنة من جهة، والتعديل والإضافة من جهة ثانية. وقد اعتبرنا كما سبق القول، إن النسختين نسخة واحدة وعملنا على هذا الأساس.

بالطبع، عملية من هذا النوع، تتطلب بذل المزيد من الجهد للوصول إلى نسخة مطبوعة على الكمبيوتر خالية من الأخطاء. وهنا تظهر عقبة جديدة، تتمثل في الفراغات البيضاء التي تركها المؤلف في النص. وهو أمر مرده أن المؤلف لم يكن قد امتلك معطيات دقيقة رقمية أو غير رقمية، حول بعض المعطيات والأسماء والعبارات القديمة يونانية أو لاتينية، فتركها بيضاء حتى يتسنى له الحصول عليها أو تقديمها له من المتخصصين من معارفه. وكذلك بعض الأسماء والتواريخ المشككة. وفي غمرة مشاغله، ظلت المساحات البيضاء فارغة. وقد يكون السبب الفعلي أن المؤلف لم يعد إلى ما كتبه في مراحل متكررة، مما أدى إلى استمرار الفجوات على حالها. وهنا بذلنا جهوداً قصوى في مقارنة هذا الوضع، دون أن نمس النص، وقد نجحنا حيناً وأحياناً لم ننجح.

هذا، وعلى صعيد آخر، يعتمد المؤلف على مخطوطات، البعض منها، لم تتم عملية نشرها حتى تاريخه، أو على كتابات منشورة في حينه، لكنها لم تعد متوافرة حتى في المكتبات المتخصصة، أو أن المنشور منها غير مفهرس علمياً، مما تعذر معه العودة إليها لتدقيق الجمل والنصوص الواردة وضبطها. خصوصاً وأنا نتحدث هنا عن مئات إن لم نقل ألاف أسماء الأشخاص والأماكن، وضمن مراحل تاريخية واسعة تبدأ من عصور سحيقة في القدم حتى مراحل متأخرة. ولا شك أن استناد المؤلف إلى عشرات المخطوطات ومئات المؤلفات، كان يمثل أمامنا عقبة إضافية.

إذا كانت المرحلة الأولى تتمثل في عملية قراءة وكتابة المخطوط وإصلاح ما هو وارد فيه من أخطاء لغوية أو إملائية، وهي نسبياً محدودة من المؤلف، على أي حال من الأحوال، فالمرحلة الثانية كانت في قراءة الكلمات غير الواضحة أو المتروكة بيضاء. ولعل القسم الأكبر منها يتمثل في تواريخ هجرية أو ميلادية غير مثبتة في الأصل. وقد تركنا الفراغ الأصلي وأظهرناها في الحواشي. وبالإجمال - فقد جرى التمسك بالأمانة العلمية كاملة في التعاطي مع المخطوط، فما تمكنا من قراءته، وضعناه بعد أن نجحنا في قراءته، وما عثرنا عليه في بحثنا عنه أثبتناه وذكرنا مصدره، وما لم نتمكن تركناه وأشرنا إلى أن البياض من صنع المؤلف. كما حافظنا للمؤلف على الحواشي التي وضعها في الصفحات، ووضعنا

عبارة المؤلف بين مزدوجين للدلالة أنها من وضعه. وما أضافه المحقق من حواشي جرى تحديده بإضافة (المحقق) بين مزدوجين مسبقاً بالإشارة إلى المصدر الذي تم الاستناد إليه للتعريف الوارد. عدا ذلك، قمنا بوضع علامتين معكوفتين [] لدى قيامنا بوضع كلمة أو عبارة لتوضيح المعنى أو سد الفراغ في المخطوط، وهو ما تجنبناه دوماً. كما جرى تفسير بعض العبارات الواردة وتوسيع قاعدة المعلومات للراغبين من القراء بالمزيد. باختصار شديد، تم اعتماد قواعد صارمة على امتداد النص بهدف المحافظة عليه كما تركه لنا المؤرخ المعلوم بما فيه بعض الأخطاء اللغوية التي أشرنا إليها وصححناها في الحاشية. كما أننا ننبه القارئ، إلى استعمالنا حرفاً سميكاً bold بدلاً عن وضع بعض الأسماء بين مزدوجين الذي اعتمده المؤرخ المعلوم، ونعود إلى ما ذكرناه من أنه من عند المحقق، وحافظنا له على المزدوجين داخل النص، وكذلك اعتمدنا العناوين الفرعية نفسها التي وضعها المعلوم نفسه، حفاظاً على الأمانة العلمية، مع أنه كان بالإمكان اعتماد عناوين أكثر تطابقاً مع المضمون.

المرحلة الثالثة وهي الأخطر، تمثلت في كيفية إعادة ترتيب مواد المخطوط من دون الإخلال بعمل موسوعي على هذا النحو الذي حملته مؤلف «تاريخ البقاع وسورية المجوفة». وكما أشرنا سابقاً، كانت لدينا عدة مشاريع فهارس، فإضافة إلى ما وضعه المؤرخ المعلوم نفسه، هناك مقترح ثالث وضعه ابنه الشاعر رياض المعلوم مع حفيديه نجوى وعيسى، ومشروع ثالث وضعه الصديق فواز طرابلسي. ولذلك عمدنا إلى وضع الفهرسين الأولين في نهاية المخطوط كملحق للكتاب، وللسماع للقارئ بالمقارنة بين ما كان عليه الترتيب المقترح وما صار إليه من جانبنا. وقد أفدنا من دون شك من جملة المحاولات هذه لصياغة مقترح رابع قابل للتحقيق وقادر على الإحاطة بالعمل من جوانبه كافة من دون الإخلال بسياق النص أو النصوص المكونة له. وهكذا كان. وبهذا المعنى يمكن القول إن ما هو وارد في ترتيب المخطوط هو ثمرة جهد مركب شارك فيه كل من فواز طرابلسي ومن وردت أسماؤهم سابقاً، وفي المقدمة صاحب العمل وصانعه. لكن المسؤولية عن الترتيب والتركيب النهائي أتحمّل المسؤولية عنها وحدي باعتبارها جهدي

الخالص واجتهادي الشخصي. وبالتأكيد، إذا كان هناك من يعتقد بوجود أخطاء ما، فإنها أخطائي دون باقي المساهمين في العمل. وهو مخطط أملته منهجية علمية في ضبط النص وتوجيهه كمباحث كاملة بعناوين حافظت عليها باعتبارها عناوين المؤلف، لكنني جمعت المواد المتفرقة ضمن هذه العناوين، وأعدت وحدة الموضوعات، خصوصاً وأنها كتبت في الأصل على مدى فترات زمنية طويلة. ويلحظ القارئ وجود بعض التكرار المحدود، وهو يعود من جهة إلى التزامنا نص المؤلف، ومن جهة ثانية، إلى اقتناعنا بضرورة بقاء هذا التكرار باعتباره من نسيج العمل التاريخي لصاحبه، فضلاً عن أنه يضيء على المادة والجهد المبذول من جانب المؤرخ المعلوم.

وقد عمدنا إلى تقسيم المخطوط إلى جزئين الأول منهما يتناول التاريخ والآثار والحياة السياسية والاقتصادية والجغرافيا والتقسيمات الإدارية، بينما خصصنا الجزء الثاني للحياة الثقافية وعلماء وأدباء البقاع وسورية المجوفة، كما وضعنا فهارس بأسماء الأعلام والأمكنة التي وردت في النص، وهي عملية معقدة ومنهكة، باعتبارها تتناول الآلهة والأنبياء والأولياء والحكام والقادة والأمراء والإداريين والشعراء والأدباء ورجال الدين والقضاة والمؤلفين والعائلات، وخصوصاً أننا نتحدث عن مراحل تاريخية ممتدة على مدى ألوف السنوات بتحولاتها... كذلك شمل الفهرس أسماء القرى والمدن والأنهر والبحيرات والمواقع الأثرية والمزارات والأديرة والمساجد وغيرها. وقد رأينا أن وجود هذه الفهارس ضرورة لا غنى عنها في عمل موسوعي على هذا النحو، مما يسهل على الباحث والقارئ العودة الدقيقة إلى النص دون تجشم عناء قراءة المؤلف برمته، في حال كان غرضه الحصول على معلومات سريعة ومحددة.

وقد قمنا بحذف المواد الصحافية التي وردت ضمن أوراق المؤرخ المعلوم، خصوصاً تلك التي ليست من وضعه، واعتبرنا أن ورودها في السياق كان من باب الاستثناس والأرشفة للموضوع دون أن تصل إلى مرحلة الهضم والدمج في النص. وقد حافظنا على المواد التي وضعها بنفسه ونشرها في الصحف وألقاها في مناسبات محددة، طالما أنها تتعلق بمادة البحث، باعتبارها ترد ضمن سياق المادة. ومثل هذا ينطبق على القصائد والروايات التي

أثبتها في النصوص المرجعية لدى حديثه عن المواقع الأثرية والسياحات الدينية وإنتاج الأدباء. كما عمدنا إلى حذف المواد المكررة، وأشرنا إلى ذلك لدى ورودها. أيضاً، عمدنا إلى رسم صور المشجرات العائلية والخرائط التي وضعها المؤرخ لموضوعات بحثه، ورسم المصورات التي وضعها بيده للأثار التي خطها بريشته، وحافظنا عليها كما وردت بقلمه دون زيادة أو نقصان أو تعديل. وأثبتنا الجداول التي وضعها لعدد السكان وهي تنتمي كما هو معروف إلى مرحلة الانتداب، وكذلك البيانات التي قررها لتسلسل الحكام والأساقفة وغيرهم. وينطبق الأمر على بعض الصور الفوتوغرافية القابلة للنشر، التي أخذها لبعض المواقع وضمّنها المخطوط. أي إننا حافظنا على كل ما أورده المؤرخ في أصل المخطوطة، دون العبث بها أو تقويمها.

وبالاختصار، لقد بذلنا ما يستحقه هذا المخطوط من جهد، من أجل إعادة تقديمه على النحو الذي أراده مؤلفه منه. وكما كان يكرر العلماء القدماء، فإن أصبنا فلنا أجران، وإن أخطأنا فلنا أجر واحد. ويكفي شرف المحاولة وتحقيق ما يمكن للقارئ أن يحكم عليه خلال هذه الرحلة من البحث المضني والممتع في الوقت نفسه.

زهير هوارى

بيروت في ١٥ / ١٢ / ٢٠١٧

الفصل الأول

المقدمات والعبادات

ديباجة الكتاب

بعد حمد الله المنان. الملهم الإنسان طرق المعارف والإحسان، والفتاح الأذهان لمعرفة تواريخ الأزمان، يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الرؤوف عيسى ابن الخوري إبراهيم بن عيسى شبلي المعلوف إنني ولعت بفن التاريخ منذ الصُّبا، وتقلبت مع مواضيعه تقلب العصاة بريح الصُّبا، حتى استجلبت كثيراً من غوامضه. وفتحت لها أبواب معارضه، وعارضتها بما كتبه الأفرنج والعرب، من المباحث الممثلة لكل أفانين العجب، وانتقدت ما هنالك من الأقوال الزائفة، والآراء المتباينة المتخالفة، ولا سيما في التاريخ القديم المبني على الآثار والأساطير، والممحص بما كُشف من العاديات والأحافير، حتى اجتمع لدي كثير من المباحث الشائعة، وحفلت مذكراتي بتعاليق من المواضيع الرائقة: فجمعتها ووزعتها ووحدتها وأفردتها ورتبتها وبوّبتها وقسّمتها ونظمتها، فكان منها «تاريخ حوران وفلسطين ولبنان»^(١) و«سورية المجوّفة» الشهيرة، ووادي التيم وجهات أخرى كثيرة مثل قضاءي المتن^(٢) وزحلة^(٣) اللبنايين، فمراجع البحث الصحيح عن تاريخنا الخفي كثيرة، على أن «تاريخ سورية المجوّفة» هو أشبه بتاريخ وادي النيل وأغوار دجلة والفرات، لأنه من بعض الوجوه هو أصدق دليل على العبادات والخرافات، وفيه قامت عاصمة الوثنية ومدينة الشمس البهية، بعلبك ذات الأساطين الضخام، والنقوش الحجرية التي تحير الأفهام، وانبثت فيها الهياكل الظرفية والمعابد اللطيفة، على المشارف والروابي والإسناد،

(١) لخصت هذه التواريخ في كتابي «دواني القطوف».

(٢) تاريخ قضاء المتن لا يزال مخطوطاً واسمه «شرح المتن في تاريخ المتن».

(٣) تاريخ زحلة طبع في نحو ٣٠٠ صفحة بقطع ربع سنة [١٩١١]... (المؤلف).

وفي السفوح والأغوار والانجاد، فامتدّ من جهات حماة إلى وادي التيم الفسيح، وتوسع فيه إلى ما يقارب مدينة دمشق في التلويح والتصريح، فسوّره اللبنانيان بسور طبيعي وزيته المزارع في الفصل الربيعي. فلا عجب إذا قلت إن سورية المجوفة تشمل وادي الليطاني في الجنوب، وقسماً شمالياً من وادي العاصي أي المقلوب، وغور نهر يحفوفة الصغير، وجزءاً عظيماً من ضفتي نهر بردى الكبير.

فتكون هي التجويف المتصل ببعضه ببعض، والمتوحد بطبيعة الإقليم والمياه والأرض. وأظهرت من البراهين الدامغة على صحة هذه الآراء، ما لا يبقى في نفس المطالع أقل ريبة أو امتراء.

وتوسعت في كلامي مسترسلاً إلى تحليل أسماء الأعلام، لأنها هي بقايا الاعتقادات القديمة في تلك الأيام، ومنها تستشف أحوالها الماضية العهد وتستقرأ [تستقري] شؤونها المختلفة القصد، فتتصور للعين تماثيل غابرها الذي جرت عليه الأيام ذبول العفاء، وتتمثّل للخيال أشباح حوادثها مرسومة بأشعة الضياء، وتطرقت إلى تراجم مشاهير علمائها، ووصفت شؤون أعيانها وأدبائها، وتوغلت في سرد وقائعها، وأمعنت في وصف عمرانها ومصايفها وربوعها وأطلالها، وأوديتها وتلالها وسكانها وحكامها وترتيبها ونظامها، إلى ما يساوق هذا الأسلوب، ويوصل إلى نيل المطلوب، فبالله أستعين على إنجاز العمل، وبمنه وكرمه أحقق في كلامي بعض الأمل.

إنه السميع المجيب.

تنبيه

إن اسم سورية المجوفة مشتق من «اشوريا» نسبة إلى سكانها أشور. وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو هيرودتس المؤرخ اليوناني الشهير. وذلك لأن الأشوريين كانوا يتولون هذه البلاد عند فتح اليونان لها فسمّوا البلاد باسمهم. معدل طولها من الشمال إلى الجنوب نحو سبعمائة كيلومتر وعرضها من الغرب إلى الشرق نحو أربعماية وخمسين كيلومتراً، فيكون مجموع مساحتها ٥٠٩, ١٠٩ من الأميال المربعة أو يتجاوز (...). [٢٤٤, ٧٥٢, ١] كيلومتراً. وكان عدد سكانها في القديم عشرة ملايين، واليوم يتجاوز المليونين ونصف، فمعدل سكانها ٢٥ [نسمة] في كل ميل. والنصارى نحو مليون، وثلاثهم مهاجرون، وأطلق على معظمها اسم الشام نسبة إلى سام بن نوح الذي استعمرها هو وسلائله. وسميت بلاد آرام نسبة إلى آرام بن سام هذا وعُرف سكانها بالآراميين. وكانت سورية في القديم محدودة بالفرات ودجلة حتى خليج فارس (العجم) شرقاً والبحر الرومي (المتوسط) غرباً. وبآسية (الصغرى) في الأناضول شمالاً وبالبلاد العربية جنوباً. ولكن موقعها اليوم أضيق نطاقاً فهي في الدرجة ٣١-٣٩ من خطوط العرض تتصل شمالاً بخط يخرق خليج اسكندرونة على موازاة خط العرض إلى الفرات، وشرقاً ببعض الفرات وبادية الشام وجنوباً ببعض البلاد العربية وغرباً بالبحر الرومي.

إن سورية المجوفة أو وادي سورية، كانت في الزمن القديم تُطلق على البلاد الواقعة بين دمشق وحماة ووادي بردى واليحفوفة والعاصي ثم إلى مشغرة في وادي الليطاني، وكانت عواصمها الكبرى مدينة دمشق والزبداني وبعبك والكرك وعنجر. فلهذا يتناول بحثنا في

هذا التاريخ هذه الاماكن حيث امتد قدماء الآراميين واللودانيين أو الروتانيين وأعقابهم ممن جاء بعدهم من الأمم وتركوا في هذه السهول آثار عمرانهم ودياناتهم وخرافاتهم الناطقة الآن بمجدهم العريق في القدم وعماراتهم الفائقة في صناعة البناء. ولقد استقرينا في أبحاثنا كل ما يتعلق بهذه الأماكن وطفنا بأنفسنا في ربوعها مستنطقين آثارها العجماء وهي أفصح ناطق بعظمتها.

وسورية مقسومة إدارياً بحسب موقعها في ثلاثة:

- ١- سورية الشمالية وتبتدئ من جبال طوروس شمالاً وتنتهي عند مدخل حماة جنوباً، ومن أمهات مدنها إنطاكية وحلب وحماة.
- ٢- سورية المتوسطة (ونرجح أنها هي التي أطلق عليها سورية المجوفة) وهي تبتدئ من مدخل حماة شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً. ومن أمهات مدنها الداخلية تدمر وبعبك وحمص. ومدنها الساحلية طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور.
- ٣- سورية الجنوبية وهي ما بقي من سورية ويدخل فيها ما عُرف قديماً باسم كنعان أو فلسطين وتمتد من مياه الحولة شمالاً إلى العريش جنوباً، ومن مدنها الداخلية الناصرة وطبرية ونابلس وأورشليم (القدس) والخليل (حبرون) والساحلية عكا وحيفا وغزة والعريش.

وسورية الحالية عرضها ١٥٠ كيلومتراً وطولها من اسكندرونة إلى العريش ألف كيلومتر ومعدل حاصلاتها السنوية خمسة ملايين (...) مائة ألف كيلة حنطة وأربعة ملايين ومئتا ألف كيلو شعير، ومليون ونصف كيلة من بقية الحبوب، ومليون وخمسون ألف أقة قطن، وعشرة ملايين ومئتان وثلاثون ألف أقة سمن، وعدد الأغنام التي ترعى في سورية نحو مليون، ونصف مليون ماعز ومائتان وخمسون ألفاً من الأبقار وثمانون ألفاً من البغال وخمسة وعشرون ألفاً من الجمال، وحاصلات الحرير نحو أربعة ملايين أقة فيالج (شرانق)

نتاج نحو ١٦٠ ألف علبة بزر. وحاصلات حرير لبنان ومليون ونصف المليون وفيه نحو تسعة آلاف دولار لحل الحرير. وكان في ولاية حلب قديماً عشرة آلاف نول للنسيج تنسج نحو (...) ومن مصنوعات الشام البسط والنمارق وغيرها من المنسوجات وفي يافا يصنعون الحصر وفي حلب (...) والاجرّ والجلد المدبوغ والزجاج والبلّور واستقطار الخمر والعرق إلخ...

(وهذا التقويم سنة....)^(١).

(١) وكل أماكن الفراغ هي بياض في النص الأصلي.

فوائد في بعض التسميات من الارشمندرت جيكو موسى وهو بارع في اليونانية ننقلها للتصحيح

- (كيلاس سيريا) اسم سورية المجوفة.
- (اريحوس) برو (إيلوس) الشمس، أي بر الشمس.
- صيدنايا (صيدون - نايا) صيدا الجديدة.
- القسطل (لاتينية) كستل.
- فليطة (فينيقية) بعل باليت.
- دير عطية (يظهر أن كلمة عطية) تعريب (ثاودوسيوس) أي عطية الله. فكان الاسم (دير
ثاودوسيوس) معرب.
- الضمير (ربما فينيقية) تامار (المحامي).
- البرج (يونانية) بيرغوس.
- آفيليه (أي هابيلية) نسبة إلى هابيل ويقولون فيها (ابيليه).
- كرونوس (زحل) يونانية.
- رونوس (المشتري).
- Asteros استيروس أي الزهرة يونانية (عشروت).
- زينون (إله).
- لعل (يونين) - يونان أو (جونون).
- فال (يونانية) بعل و(ثاوخوس) باخوس فيكون منهما اسم بعلبك أي مدينة الشمس.
- (أنتي) (إيلوس) مقابل الشمس منها (انطلياس).

في تسمية سورية المجوفة وجغرافيتها وحدودها ونحو ذلك

في زمن قديم انفصل جبل لبنان^(١) الشرقي والغربي بحادثة جيولوجية مثل زلزلة أو بركان ونحوها فحدثت بينهما فرجة سهلية [سالت]^(٢) اتربتها لقلعة الشجر في أعالي الجبلين وسفوحها فسحلت المياه أتربتها وجرفتها فاستقرت في هذه الفرجة الفيحاء وزادتها خصباً ولن تزال تزيدها بما تحمل إليها من الهوالك النباتية والحيوانية كما يحمل النيل ودجلة الرداغ^(٣) إلى الأرض التي يخترقها ويفيض عليها. فلذلك كانت هذه البقعة المتسعة مرصعة بالأبنية والزرع دائمة الاخضرار في أكثر فصول السنة تأخذ بمجاميع القلوب رؤاً^(٤) وتملأه النواظر بهاءً، وهي الآن من أشهر سهول لبنان بل سورية. فيها هيكل بعلبك الشهير الذي في

(١) إن كلمة لبنان عبرانية بمعنى الأبيض، وفي تسميته هذه إشارة إلى دوام الثلج في [أعلى] قممه، وقد سميت بلدان كثيرة بذلك ونحوه إشارة إلى هذا. فجبال جملايا [همالايا] في آسية وهي أعالي جبال الدنيا مركب اسمها من «جيم» و«الاي» أي موطن الثلج. وجبل الشيخ بهذا المعنى إشارة إلى شبيهه لأن بياض الثلج أشبه بالمشيب، وجبال قوه قاف أو قوقاز بمعنى الجبال البيضاء بالفارسية. وجبال الالب وجبل بلان في أوروبا بهذا المعنى في اللاتينية والفرنسية، والبريطانية (أي بلاد الإنكليز) سميت عند القدماء «البيون» أي البيضاء، لبياض سواحلها إذ إن تربتها طباشيرية وكذلك صخورها. وإقليم البياض هو زحلة وبعض البقاع لأن تربته بيضاء من هذا النوع. (المؤلف).

(٢) زيادة من المحقق كي يستقيم المعنى.

(٣) الرداغ هو الطمي الذي يستقر في أحواض الأنهر جرّاء نحت السيول والأمطار أتربة الجبال وصخورها ونقله إلى الأودية. وهو ما يؤدي إلى خصوبة هذه السهول زراعياً. لذا لم يكن من قبيل الصدفة قيام الحضارات البشرية الأولى على الضفاف الرسوبية هذه في كل من العراق ومصر والهند (المحقق).

(٤) رؤى.

قلبها ولتأثير شمس الشرق في هذه الأرض التي يعرى جوّها أكثر من نصف السنة فتتجلّى لناظره محاسن الشمس والقمر والنجوم ليلاً ونهاراً. وسماها العبرانيون «بقاع» أو «بقعة» بمعنى سهل منبسط لانبساطها وامتدادها بين الجبلين اللذين يسورانها من الشرق والغرب، فضلاً عن الروابي التي تحديق بها في أكثر الجهات و(سموها) «أميكس» أي العميقة. وسماها اليونانيون باسم^(١) «مرسياس» أو «ماسياس» (...) وباسم وادي سورية أو سورية المجوفة (...). وسماها الكتاب المقدس «بقعة لبنان» و«وادي لبنان» و«بقعة رحوب» وسُمّيت «آرام صوبا» (...) وسماها العرب «بقاع كلب» (...) و«بقاع العزيز» (...) و«مرج الروم» و«سهل نوح» (...) وهذا الاسم كان في القرن (...) ومن أسمائها المصرية «بقعة رتفو» (...) وسمّاه غيرهم «مملكة رحوب» و«فينيقية لبنان»^(٢). وفي القرن الثالث عشر اشتهر اسم هذا السهل باسم «بعلبك» و«البقاعين»، والمراد أن شماله هو سهل بعلبك، وجنوبه قسمان: غربي سُمّي بقاع العزيز وقسم شرقي سُمّي بقاع بعلبك. وبعد ذلك انفرد اسمه هكذا سهل «بعلبك والبقاع» حسب تقسيمه الإداري الحالي.

وكان يتصل بوادي التيم فيتداخلان بعضهما ببعض إلى عهدنا الحاضر، كما يتصل بنواحي حمص فيتداخلان أيضاً، وكذلك كان تداخله ببلاد بشارة (أو جبل عامل). في جبل القلمون حتى إن قارة كانت من أعمال سورية المجوفة وكذلك الزبداني وما إليها من وادي يحفوفة والزبداني وبردى.

وكانت مملكة حماة قبل الميلاد بثمانية قرون لم تمتد في أراضي نهر العاصي الوسطى

(١) البياض كما سبق وأشرنا هو من عمل المؤلف.

(٢) لم يحدد المؤلف تاريخ القرن المذكور.

(٣) البياض من المؤلف.

(٤) آون تسمى بيت الشمس أو مدينة الشمس في مصر وهي اليوم «عطرية»؟ واسمها اليوناني هليوبوليس بمعنى العدم أو البطل عندنا. وورد ذكر آون في الكتاب المقدس كثيراً في (أسفار) حزقيال (١٧:٣٠) وهوشع (٨:١٠) وعاموس (٥:١) ويشوع (٢:٧) وصموئيل الأول (٥:١٣) وأطلق هوشع كلمة آون على بيت إيل في جوارها أي بيت الله، ولما صارت بيت الأوثان قيل لها بيت البطل على أهلها (?). (المؤلف).

فقط، بل كانت تمتد أحياناً إلى البقاع، بحسب ما كانت دمشق خصيمتها القوية تتركها تنفس الصعداء وتقرب من مملكتها.

وأطلقا «كليسورية» أي سورية المجوفة أو وادي سورية على هذه البقعة في عهد مملكة اليونان، وكان تخمها من عدوتي البحر الميت إلى تخوم إنطاكية. وضواحي دمشق، بل يطلقونه على جميع سهول البقاع فيسمونها بالوادي العظيم وعلى بلاد فلسطين (المشرق ٨٥:١١).

الموقع والحدود^(١).

(١) البياض من المؤلف.

(درس في العبادات القديمة والأساطير)

جاء في دائرة المعارف العربية (٥: ٤٩٣) ما محصله:

(البعل) معبود ذكر للفينيقيين والكنعانيين وهو عندهم (الشمس أو المشتري) و(عشتروت) معبودتهم الأنثى ويراد بها (القمر أو الزهرة).

واستعمال هذين الاسمين شاع بصيغة الجمع البعليم وعشتروتيم للدلالة على أنواع مختلفة من هذه العبادات والمعبودات، فلذلك أضيف (البعل) في كثير من التسميات مثل (بعل زبوب) لمعبود الذباب عند القعرونيين وهو مثل (زفس أبيميوس) عند اليونان. و(بعل فغور) وهو بمنزلة (بريابوس) عند الرومان و(بعل برت) بمنزلة زفس أورسميوس عند اليونان وديوسفديوس عند الرومان.

ومعنى البعل (الإله) وهو كثير الوقوع في اللغة العبرانية بمعنى (سيد) أو (رب). وقد يأتي بمعنى (حاكم) أو (صاحب) أو (مالك) واسم المعبود سواء كان مفرداً أو جمعاً، يتميز دائماً من الأسماء العموم بدخول أداة التعريف عليه، إلا إذا كان مركباً مع كلمة أخرى للدلالة على نوع مخصص منه.

وفي الكلدانية (بعل) بسكون الباء وكسر العين فإذا حذفت العين بقي (بل) وهو اسم هذا المعبود عند البابليين. ويلفظ أيضاً (بيل) أو (بعلوس) أو (بيلوس) غير أن السير رولنسن Rolonson sr. يشك في أن يكون الاسمان اسماً واحداً.

وكانت عبادة البعل قديمة جداً فإن المؤابيين وخلفاءهم المديانيين كانوا يعبدونه في أيام موسى (عدد ٢٢: ٤١) حتى أغرت الأمتان المذكورتان الإسرائيليين على عبادة هذا

الإله تحت اسم (بعل فغور) ويلفظه العبرانيون (بعل بعور) وذلك عندما عسكروا في شطيم تجاه أريحا. واختلفت الأقوال فيه فقليل إن بعل فغور بمنزلة (بريايوس) عند الرومان وبعضهم إنه زحل أو الشمس أو اورانوس، أي السماء أو (اوروس) أو (أدونيس) أو (اوزيريس) أو (معبود آخر يشبه بلوتون) عند الرومان واليونان، وهو معبود الجحيم كما تدل عبارة المزامير (١٠٦: ٢٨). ولا يفهم منها آلهة الأموات بل لآلهة ميتة أي ذهب وفضة ونحوهما، أو المراد بالأموات البشر أي آلهة بشرية أو صنع أيادي البشر، أو أناس عبدوا بعد موتهم. والمشهور أن عبارة بعل فغور كانت مختلطة بالدنس فيكون العبرانيون قد سقطوا بالأرجاس عندما عبدوه. وكانت عبادة البعل عند العبرانيين قد انتشرت بينهم إلى أيام صموئيل في أيام قاضيهم جدعون، وكانت عبادة البعل عبادة الأسباط العشرة تقوى وتضعف فأقيمت هياكل لتمثيله ومذابح واحتفالات. وكان كهنتهم يرتب مختلفة بملابسهم وعاداتهم وضحاياهم حتى البشرية ولاسيما بعهد الفينيقيين، فمن آثار عباداتهم في جميع مستعمراتهم الأعل امكاذر بعلو أسد بعل وانيبعل. وبعل مروداخ (المشتري) وبعل شمين أي مولى السموات وبعل حمون (ربما تحريف آمون) وبعل شمس وبعل جاد وبعل صفون (ثيفون) وبعل دان وبعل صروبأر بعل واش بعلو اسدر وبعلو اذرو بعل وانيبعل فحرف الإفرنج ذلك بقولهم بلطشاصر واسدر وبعل وانيبال بإسقاط العين أو قلبها ألفا واليونان سموا البعل (فيلوس) والرومان (بيلوس) ومنه أخذ بعل وسلبيل البابلي وركبت مع بعل أسماء كثيرة.

وعن خطاب (المصريون القدماء) للدكتور بوست^(١) في المقتطف (١٠: ٨٥): «كانت آلهة العوام عندهم لها تماثيل أبدانها شبه أبدان البشر ورؤوسها في الغالب شبه رؤوس الحيوانات المقدسة عندهم. وأقدس حيواناتهم (اييس) أي الثور أو العجل. وكان الناس يعبدونها عبادة وثنية محضة».

(١) هو الدكتور جورج إدوارد بوست، طبيب وجراح من العلماء بالنبات. أميركي الأصل مستعرب. ولد في نيويورك سنة ١٢٥٤ هجرية / ١٨٣٨ م. كان أستاذاً في المدرسة الإنجيلية الأميركية في بيروت، وتوفي فيها سنة ١٣٢٣ هجرية / ١٩٠٩ م. راجع: تاريخ الصحافة العربية ٢: ١١٥ وآداب زيدان ٤: ٢٢٠ (المحقق).

ويذهب رولنسون المؤرخ الانكليزي: «أن المراد من هذه التماثيل كان أحد أمرين: إما تشخيص صفات الله لتقرب من أذهان العامة، وإما تشخيص قسم من أقسام خليقته. فالإله (كناف) للدلالة على الإله الخالق و(فتاح) على اليد الخالقة و(منت) على المادة أو الهيولى و(را) على الشمس و(خمس) على القمر و(ساب) على الأرض و(توت) على الحكمة الإلهية و(اوسيرس) على الجود الإلهي».

في أساطير (ميثولوجية) سورية المجوفة

الأساطير (الميثولوجيا) السورية تكاد تنحصر في وادي الليطاني والعاصي وبردى ويحفوفة حيث الأديان والعبادات والهياكل فهي بقلعة بعلبك أعظم من آثار وادي النيل وأساطير المصريين وأفضل من وادي الرافدين (دجلة والفرات) حيث آثار الكلدانيين والآشوريين والبابليين والماديين وأساطيرهم القديمة. فكفى إذن بوادي سورية هذا سجلاً لآثار السوريين وأساطيرهم الفاتكة.

أقدم العبادات الوثنية في سورية عبادة البعل^(١)، وهو إله الكلدانيين الذي عبده من اتصل بهم ولاسيما الكنعانيون، فكان هؤلاء أو لمن نسب الألوهية للشمس^(٢) والقمر والكواكب لصفاء جوههم. وهكذا الديانات القديمة مبنية على أقاصيص وأساطير متمازجة وإن كانت

(١) البعل بلغة أهل اليمن الرّب، وفي نصوص المسند ورد اسم بعل وبعلت من بين آلهة العرب القدماء. والبعل في لغة العرب هو المعبود، وكذلك هو الأرض المرتفعة التي لا يصيبها المطر إلا مرة واحدة في السنة. وكل ما لا يسقى من نبات وأشجار وزروع هو بعل، والبعل هو الزوج والسيد. ويطلق الفلاحون في لبنان وسورية إلى الآن تعبير الأرض البعل على تلك التي لا تسقى إلا بماء السماء، راجع جواد علي في «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» ٦/ ٣٣٣ و ٣/ ١٣٠ = ولسان العرب شرح كلمة بعل. وهناك تفاصيل عن البعل وعلاقاته مع بقية الآلهة لدى أرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣ ص ٣٠-٣١ (المحقق).

(٢) الشمس عُبِدَت عند القدماء بأسماء مختلفة الألفاظ متحدة المعاني: فبعل في شمالي سورية وأتون والبيس في النيل (مصر) وكرون في البلاد العربية وعشترين في آشور وجوبيتر عند الرومان وعند الفينيقيين وميترا عند الفرس ومثلت بصورة أسد وصورة عجل (المحقق).

متميزة من بعض الوجوه. وأما التثليث في الديانات وهو من أرق رموز الوثنيين، وتمثلوا الإله ذكراً وأنثى وولداً، فصار التثليث تثليث الجبيليين (سكان جبيل على ساحل البحر) أيل وتموز وعولم ومثلث آخر هو اوران وملك وتوت.

وكثيراً ما تراهم يسمّون البلدان والجبال بأسماء الآلهة لأنهم احتلوها مثل قاسيون ولبنان وانتيبلان وعيتيت (عنتوثيت) والحدث (هدد) وارطاميس (طاميش) وسورية وفينيقية وصور وصيدون. وبلونة (ابلون) واورفه (الرها) وبتروني أو الساتورني (المحيط الاتلتيكي) أي الاقيانوس. والدامور وتموز (ابرهيم) ومرسياس واورنة (العاصي).

أساطير العرب^(١)

ناثلة صنم عبده العرب بمكة، وسعد صنم لدوس من العرب، (فسعد نائل) مركب من الاثنين. وشمس صنم لقوم من عُذرة ولبنى تميم. والقصير اسم صنم عند العرب ويغوث اسم صنم آخر عندهم. وذو الشرى إله الشمس عند النبطيين ومعناه الإله المنير. وذو الشرى صنم لدوس العربية كان يُعبد في بترا. والعرب عبدوا الزهرة وهي ألينا أو الالات اختصاراً الالهات وهي المختصرة عندهم باسم (اللات). عثر نجمة المساء (أي الزهرة) و(إيل عثر) لعل إيعات تحريفه. وحرفت اشتار أو عشتار أو عترعتا.

ونجمة الصبح سميت العُزى أي الآلهة السامية. ومن أسماء الزهرة (كبر) أو (أكبر) كان الجاهليون يجعلون الآلهة زوجاً ذكراً أو أنثى. فالعُزى مذكر عزيز واللات ذكره اللاه. وعثر زوج هامونيمور الذي يذكر مع عزيز. وكانت العُزى تكرم في نجران على صورة نخلة ولعل (نخلة) أو (نخلة) في بعلبك باسمها وكذلك بقاع العزيز و(قوس) أو (قُرح) معبود عرب ادوم ومنه (قوسايا). ولعل القبائل سميت بأسماء معبوداتها مثل بني كلب وأسد لعبادتهم

(١) لمزيد من المعلومات عن آلهة العرب وعبادتهم وأصنامهم هناك الكثير من المصادر أبرزها من دون شك كتاب الأصنام للكليبي، كما وردت في أعمال الطبري والمسعودي واليعقوبي والبلاذري في مواضع كثيرة، وحديثاً هناك «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي وغيرهم من المؤرخين الذين تناولوا موضوع العبادات والعقائد قبل الإسلام (المحقق).

الحيوانات. وثمنة اسم مدينة بني غطفان في بلاد العرب ولعل (ثمنين) في البقاع وبعلبك منها.

ولما جاء العرب وجدوا المسيحيين قد حولوا الهياكل الوثنية إلى كنائس وديارات باسم قديسيهم أرادوا أن يجاروهم بذلك فأروا هيكل (شيت أو شتخ) المصري فسموه النبي شيت. وهيكل نواح الكلداني في الكرك قرب زحلة فقالوا النبي نوح. وهيكل إيل في قرية قرب قصرنبا فقالوا (النبي إيل).

وقيل إن الاسماعيلية يكرمون نوح وشيت، ولهما مقامات في بعض بلدانهم العلوية في جهات اللاذقية.

ثم رأوا بعض الأسماء لا تناسب الأنبياء، فأنشأوا لها قصصاً أخرى لتسمياتها مثل (قصرنبا) قصرنبو أي عطار. وقب الياس قالوا فيها (قبر الياس) وهلمجرا.

ذكر مانيثون المصري أن البعلبكيين كانوا يذبحون في كل عيد ثلاثة عبيد لآلهتهم وكانوا يحتفلون بذلك في هيكل فينيس (الزهرة) آلهة العشق، ويقترفون فيه المنكرات. وقال اوسايبوس إن بعلبك الفينيقية عادت الزهرة (فانيس) باسم هيدون أي المسرة. وقد وجد تمثالها منذ زمن طويل مقطوع الرأس فنقل إلى مدينة بيروت، ولها هيكل نفيس في بعلبك لم يبق من اطلاله إلا ستة أعمدة وتمثال المعبودة وجواربها في داخله وكرس للزهرة الخشخاش والورد الآس وصورها في نقوش الهياكل ولا تزال رسوم ضحايا العبيد في نقوش الصهاريج المكتشفة حديثاً في باحات وأروقة قلعة بعلبك.

(نيث) و(موت) الهان مصريان (فموت) معناها الأم لها شكل باشق أو انسان برأس باشق ومنه اسمي (نهر الموت) في بيروت.

وشاع في بعلبك مذهب (الصابئة) الذي وصفه ابن العبري^(١) في كتابه (مختصر تاريخ

(١) هو غريغوريوس بن توما الملطي. مؤرخ سرياني من نصارى اليعاقبة. ولد في ملطية سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م. اشتغل بالفلسفة واللاهوت، وانقطع في بعض الأديرة ونُصّب أسقفًا على جوباس. توفي في مراغة سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م. مجلة المشرق ١: ٦١١، دائرة المعارف الإسلامية ١: ٢٢٦، معجم المطبوعات ٣٣٩، مقدمة مختصر الدول (المحقق).

(الدول) صفحة ٢٦٦ بقوله: «والذي تحققنا من مذهب الصابئة^(١) أن دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها وقبلتهم القطب الشمالي ولزموا فضائل النفس الاربع. والمفترض عليهم ثلاث صلوات أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتتقضي مع الطلوع ثماني ركعات في كل ركعة ثلاث سجعات. والثانية انقضاؤها مع نصف النهار والزوال خمس ركعات في كل ركعة ثلاث سجعات والثالثة مثل الثانية تنقضي مع الغروب. والصيام المفروض عليهم ثلاثون يوماً أولها الثامن من اجتماع آذار. وتسعة أيام أولها التاسع من اجتماع كانون الأول. وسبعة أيام أولها ثامن شباط. ويدعون الكواكب. وقرابينهم كثيرة ولا يأكلون منها بل يحرقونها. ولا يأكلون الباقلة والثوم وبعض اللوبيا والقنبيط والكرنب والعدس. وأقوالهم قريبة من أقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غاية من التقانة، ويزعمون أن نفس الناس تعذب تسعة آلاف دور ثم تصير إلى رحمة الله تعالى».

عبادات مهمة: (رمان) الإله رمان أو رمون إله آشوري وبابلي هو رشف الفينيقي أو رصف القرطجني. وابولون اليوناني هي آلهة البرق والنور وهو [على] الأرجح توحيد الثلاثة. وكان (الغار) من شارارات الإله (ابولون) خصبته شجرته (وهو تموز) عبده الفينيقيون باسم (ابولون) مثل اله الحصاد والفلاحة (مُتْنَا) كلمة سومرية (كلدانية) لبعل عشتروت قرينة الاله تموز (أدونيس) وتوجد صفيحة فيها أناشيد له ولقرينته في متحف انكلتره بالخط المسماري (مشرق ٧: ٩٠٨).

كان المصريون في فينيس عندهم الإله الأب فتاح والأم سيخت والابن ايموتسي. وفي ابيدو سموه اوزيريس وايزيس وهوروس. وفي ثيبة عمون (موتشونس) ومنها (عمونرا). ورا

(١) تعد من الديانات القديمة ومازالت موجودة إلى الآن، ويتعبد بها جماعة من أهل العراق وأهل الأهواز بإيران، ويمارسون طقوسهم باللغة المندائية، أي الآرامية الشرقية. وكتابهم الـ«كنز اريا» أو «الكنز العظيم»، ويعتقدون أنه نزل على أنبيائهم، آدم وشيت ونوح وسام ويحيى وزكريا، ولديهم أيضاً كتب طقوسية وشعائرية. واسم الصابئة منحوت من الفعل صبا، ومعناها بلغتهم اغتسل. الآثار الباقية للبيروني، ص ٢٠٦، الخيون، رشيد: الأديان والمذاهب بالعراق، فصل الصابئة المندائيين (المحقق).

مصرية عينها بعل هارعتو التاج (؟؟)^(١) يتجسد في الجُعل وهو رأس في الباشق أو انسان برأس باشق وأوزريس في الثور.

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان^(٢) إن عين الجر في البقاع بين بعلبك ودمشق وإن نوحاً (عم) ركب منها في السفينة. وعنجر ربما تحريف (أنجره) ENGARA أي المرساة) ومنها (أنقرة) في الاناضول، وربما كانت مكرسة لأبولون إله البحر والمرساة من رموزه. وتوجد قرية (عنجره) في حوران إلى يومنا. وربما كانت (عين الجار) بالعبرية بمعنى (عين الغريب) لأن الايطوريين جاؤوها غرباء ونزلوا فيها فسميت كذلك.

و(ديونيس) إله الخمرة وباخوس عبده الدمشقيون وردَّ عنهم ملوكا جاؤوا لمحاربتهم منهم ليكرج الذي هاجمهم بمقدمته العرب فعيد له الدمشقيون، وكان كل منهم يحمل على ظهره زُقاً من الخمر إكراماً له في عيده. وقيل إن دمشق حتى يوماً على ديونيس لإهانة لحقته منه فقطع بفأسه كرمته في منحدر الجبال فأوغر ذلك صدر ديونيس وسلخ دمشق حياً اقتصاصاً منه وكان من رفقاءه ومدينه^(٣). الاله سيلين ومان أيضاً الذي سميت به بانياس. واسمه الأصلي باخوس عند اليونان وسمي ديونيز او ديونيس من ابيه جبيارفيذا التي حرمتهم أو من عوالم عسينيزية اللواتيريينه (؟؟؟)^(٤).

و(تيفون) تنين هائل كان في سورية المجوفة فحفر مجرى العاصي ليقى نفسه من الصواعق التي رماه بها الاله الأكبر ثمارت أي أن يغوص في الأرض ففجرا لينايع حتى ملأ المجرى ماءً ودُعي النهر باسم (تيفون) وقال معظم المؤرخين إن هذا التنين هو نفسه الذي قتله ابلون.

(١) الكلمة غير مقروءة في الأصل. وقد انتقلت عبادة أيزيس وأوزوريس من المصريين إلى اليونان والرومان، والأول هو رئيس آلهة الموتى وأمامه يتم الحساب حيث توزن حسنات وسيئات المتوفى ويتقرر مصيره في ضوء ذلك، وهو الإله الوحيد الذي نافس الإله رع، راجع قاموس أساطير العالم، ص ٢١-٢٢ (المحقق).

(٢) ياقوت ٤: ١٧٧.

(٣) الصواب ونديمه.

(٤) الكلمتان الأخيرتان غير مقروءتين وقد رسمتا كما هما في الأصل.

ومن اقاصيصهم أن زحلة سميت باسم الملك الزحلان وهو ملك عربي [كان] ضد بني هلال، واسم زوجته زينة وبها سُميت المزينه قرب بحوشه فوق كرك نوح. وربما كانت هذه مدينة اشتهرت بفرسانها. وتل شيحا إلى شرقي زحلة الجنوبي مسمى باسم أخت أبا زيد بركات إبنة رزق موريدي من بني هلال جاءت الزحلان عدو قومها عند مهاجمة الهالبيين للزحلان فخانت شيحا، فأرادو إحراقها على التلة فسميت باسمها. وقيل إن عين (قطف الزهور) قرب الغيضة (مرج عرجموش) نزل عليها بنو هلال. و(ملاعب البنات) قريبها حيث كانت بناتهن يرقصن ويلعبن مثلها (مبرك الجمل).

الأساطير (المثولوجية) السورية

إن التقاليدات اللبنانية السورية كانت مثيرة متلونة، ولا عجب بذلك، فإن الشرق مصدر التقاليد والاساطير القديمة، على أنها وإن كانت بعيدة عن المظان الحقيقية الصادقة في التاريخ، فإنها تساعد على إثبات صحتها كثرة كلف القدماء بها وعلاقتها بهم، فشيّدوا التاريخ على أساسها ومعظمها كانت حوادثها بين الجبلين الشرقي والغربي متراوحة بحسب الأعصر، فلهذا وجب أن نلمح إليها هنا اتماماً للفائدة.

تقاليد التوراة

عند العبران = جعلوا عدن والفردوس في اهدن أو دمشق، ونهر بردى يتشعب أربعة أنهر: القنوات ويزيد وعقربا و بانياس، الغوطة وخصبها وما رافق ذلك حملهم على صحة هذا التقليد. وجرى العرب على ذلك حتى سمو أحد أبواب دمشق الفراديس. ومدينة دمشق (جنة المشرق) ثم تطرقوا إلى الجنة في وادي البقاع بين الجبلين واسقفيته سميت (ابرشية الفردوس). ونهر بردى سُمي في القرن الخامس (بردينيس) أي الفردوس، ولعل اسم البردوني في زحلة من هذه اللفظة. وأن نهر جيحون هو العاصي. ولقد مشى على هذا مؤرخو النصارى، فقال الدويهي كبير مؤرخي الموارد: «إن آدم لما خرج من عدن سكن

جبلين (...). (الشيخ)، وإن ولديه قايين وهابيل أقاما في سهل البقاع وقبورهم مع شيت دليل ذلك. وقيل إن جسر نهر المبنى المميز (...)^(١) الحجري في أعالي لبنان بمنقلبه الغربي هو من عمل آدم.

وقالوا إن اسم دمشق بمعنى (شَرَّاب الدم) أي دم هابيل. وجبل قاسيون (الصالحية) محل القتل. وآدم كان ينزل في محل يسمى (بيت الايبات) وحواء في بيت لها. وهابيل في (مُقرى) وقايين في (قينة)، وهناك في قاسيون حجر الدم ومغارة الدم. وقيل في البلية المنسوبة إليه أي قمة سوق بردى حيث مزار النبي بيل إلى اليوم. وقالوا إن حرمون في العبرانية بمعنى اللعنة والليطاني بالسريانية الموت، دليل ذلك أن بعلبك هي بناء قايين سنة ١٣٣٣ للعالم. وقبر آدم في الزبداني وقبر قايين على طريق صيدا بعيداً عن دمشق نحو ١٣ كيلومتراً في (قطفه) وادي العجم. وقبر شيت على بعد نحو ٩ كيلومترات عن بعلبك على أكمة في الجبل قبالة قبر نوح في الكرك قرب زحلة.

ويقال إن أولاد شيت سكنوا جبل الشيخ واتخذوا نساءهم من سلالة قايين فاستحقوا اللعنة وسُمي جبل (حرمون) أي اللعنة، وإن الجبل الشرقي صنع منه وسفينته، واستقرت تلك السفينة على جبل القلمون وقبل قرب الزبداني وأرارات من جبل حرمون بمعنى اللعنة.

وسُمي سهل البقاع سهل نوح من زمن قديم. وغرس الكرمة فيه دليل ذلك. وقبر سام بقرب دمشق. وقرية حام معربون قرب بعلبك. وإن المتحجرات على روابي الجبلين دليل

(١) لدى ورود بياض وفراغ أو القوسين وعلامات الاستفهام، فذلك يعني أن الكلمة إما غير موجودة من جانب المؤلف أو غير مقروءة من جانب المحقق، وبالتالي لا داعٍ لتكرار الإشارة إلى ذلك في نهاية كل صفحة من المخطوط. ولدى ورود كلمة بين معقوفين [] فمعنى ذلك أن الكلمة مضافة من المحقق لتوضيح المعنى للقارئ. وعند ورود حاشية باسم المؤلف فهي من عمله، وإلا أُشير إلى المحقق باستثناء التصحيحات اللغوية والقواعدية والتوضيحات المختصرة وتحويل التواريخ إلى الهجرية أو الميلادية في حال كان هناك نقص في أصل المخطوط (المحقق).

الطوفان. ومقام أيوب كان قرب الشام في حوران وهو إلى اليوم فيها وقبر نمرود^(١) قرب كفر حوار على بعد نحو ٢٧ كيلومتراً من جنوبي دمشق قرب بيتون.

ومن اعتقادهم أن نمرود أرسل جبابرة لبناء بعلبك، فجلب نمرود اللعنة عليه وقحل الجبل الشرقي لذلك. وفي بلاد جبيل لبنان (قلعة نمرود) و(قرن نمرود). وقرب دمشق قرية (برزة) وهي مقام إبراهيم. وقيل هو بنى دمشق وسماها دمشق اليعازر قرب (برزة) أو (حوبه) مغارة قدم فيها إبراهيم قربانه شكراً لله على نصره على الملوك الاربعة. وقيل إن في بعلبك قصر سليمان وقلعته. ومقام الخليل وفيها دير النبي إيليا (الياس). وإن معبد صيدنايا محل ذبح اسحق فسمي الجبل باسم سكير (ولعله حُرّف سنير).

وقد تضافرت تقاليد الاثنيين في هذه البقعة، فامتزجت في عباداتهم واعتقاداتهم. فالفينيقيون والآراميون بثوا خرافاتهم في اليونان، وألفوا قصصهم عن الآلهة والابطال واتخذوها مبادئ دينية بنوا على أساسها معتقداتهم الخرافية. بروش أو بروت عند الفينيقيين بمعنى (السرو) المقدس عندهم.

واذا نظرنا إلى (عليون) وأولادها (إيل) أو (كرون) بمعنى زحل. وداجون رأينا زحلة ووادي القرن وقرنايل وعين الدوق كلها من آثارهم القديمة تسمية.

ومن وزرائهم (توت) ولعل منها (التويته) فوق زحلة. وابتنا إيل (عنت) و(تيت) لعل منها بدنايل، و(دامور) في لبنان و(دُمّر) قرب دمشق أي الإله الحامي. و(عشتروت) أي الزهرة. و(ابلون) بلونة بعل اليونان، و(هدد) ملك الآلهة وهو اله دمشق ومعناه الأحد. و(بيك) سمي أوى (المشتري) ولعل (حوشبيك) أي حوشبية منها. و(نين) أبو البعل ولعل

(١) لما كان نمرود بن كوش (حرف بر كوش) وبركيشمبر كيسوبرجيس فلعل (ديركوش) وقناة باكيش وقصر (برغوش) محرفة عنه (المؤلف).

وفي الاعتقادات اليهودية أن نمرود الطاغية الذي تمكن من السيطرة على العالم عندما حاز ثياب آدم وحواء، طمح إلى شن هجوم على السماء عبر بناء البرج، لكن النبي ميكاح سمرا أَرْضاه، لكنه تسبب في تبليل اللغات. راجع قاموس أساطير العالم، ص ٥٤. أما في الاعتقادات الإسلامية فيعتبر الملك نمرود رمز الجبروت لرفضه معجزات النبي إبراهيم ما دفع هذا الأخير إلى الهجرة عن منطقة حكمه. ولا تزال إلى اليوم تستعمل الكلمة لتوصيف الشخص المتنمر (المحقق).

منها (تمنين) و(يونين). وآلهة فينيقية عمت اشور، وكان الحجاج يخرجون من العراق إلى سواحل فينيقية لينقلوا الماء المالح إلى هيكليها.

ثم الآلهة الكنعانية

لا مرتين مصدره ٥٨٨

وقال القديس أناس في خطابه ضد الأمم: «إن الفينيقيين لا يعرفون آلهة مصر وكذلك المصريون لا يعبدون آلهة يعبدها الفينيقيون»، ومن المؤكد أن الفينيقيين والآراميين لم يقبلوا مطلقاً عبادة آلهة اشور والفرس (هرمزد) و(مترة) المؤكد أن أصلهما اشوري. ولعل هرمل من (هرمزد وإيل).

والنفوذ الديني في الشرق كان للفينيقيين ومع ذلك لم تحرم الديانات من إدخال أشياء أجنبية فيها من الذين دخلوا البلاد من الأجانب. المثلث الجبلي في لبنان (إيل) و(تموز) و(عولم).

الفصل الثاني

في أساطير (مثولوجية) سورية المجوفة
وما بقي منها في أسماء القرى والأنهر والأماكن

تمهيد

لا خفاء أن المؤرخين اليوم يعتمدون على استقراء الآراء والأساطير لينبؤوا عليها فلسفة التاريخ التي هي أمتع دعامة للوثوق به، فلذلك رأينا من المباحث اللذيذة النظر في أسماء القرى والأماكن التي دخلت في حيز سورية المجوفة والتعمق في تسمياتها وردّها إلى أصولها ما أمكن، لنستنتج من ذلك ما تقلّب على هذه البلاد من الشؤون، وتلاعب بها من غير الأيام وحوادث الأعوام، فيكون تأريخها جلياً معزراً بالشواهد البيّنة والأدلة الدامغة، إذ لم نعلم أن أحداً قبلنا طرق هذا الموضوع بصراحة وتطويل، ولا وضع لهذه البقعة الخصبية تأريخاً وافياً يكشف اللثام عن وجه حقيقتها، لتظهر للملأ ظهور الصورة الشمسية ممثلة أصلها كل التمثيل غير مزورة ولا متصنّعة، بل طبيعية صادقة طبق الأصل.

إن أقدم من سكن سورية هم الآراميون، سلالة آرام بن سام بن نوح الجد الثاني للعالم بعد الطوفان. وكان عندهم كثير من الأساطير والأقاصيص الدينية والروايات الوهمية مثل بقية الأمم التي تاخمتهم ومازجتهم كالأشوريين والبابليين والحثيين والكنعانيين والفينيقيين والمصريين، وعنهم أخذ من بعدهم الأساطير التي شاعت وبنيت عليها اعتقاداتهم وتسمية ذراريهم وأماكنهم كاليونانيين والرومانيين والعرب على اختلاف طوائفهم من وثنيين ويهود ومسيحيين ومسلمين.

وأول معبود وثني أقامه الآشوريون هو تمثال الجبار نمرود على أصح الأقوال، وكان يسمى الباسل والبعل أو البعليم بمعنى الرب أو المتسلط. وسمي أيضاً المشتري (جوبيتر) والشمس وشاعت عبادته بين الأمم الأخرى واختلفت أسماء هذه الآلهة باختلاف اللغات، ولكنها كلها ألّهت الأجرام السماوية وما شاكلها مما يؤثر في النفس تأثيراً عظيماً، فأقاموا لهذا البعل أعظم هيكل معروف في سورية المجوفة، وهو هيكل مدينة بعلبك عاصمة

الوثنية ومدينة البعل أو الشمس، وكان ذلك بعد الطوفان بنحو ثلاثة قرون ولعلهم بنوه بهذه الضخامة ليقبهم طوفاناً آخر. ثم عُممت هياكله وهياكل غيره من الآلهة التي اتخذوها حسب ما ولّدت لهم الأساطير القديمة وصوّرت المخيّلة الواهمة وعظمتها في عيون سكان الشرق، وبدلوا البعل باسم أيل وغيره وتطوّرت العبادات تطوّراً غريباً لا يفرقه إلا مصطلح اللغات وإن كان كله يرمي إلى غرض واحد وهو تأليه الأجرام العلوية وبعض السفلية من حيوان ونبات وجماد. فتسلسلت الأساطير والعبادات وتغيرت بتغير الذين مارسوها، فتسلطت الأوهام والتّرهات على العقول الساذجة سحابة أجيال طوال كانت فيها مظلمة مستعبدة للتخرّصات والاختلاقات.

فإذا عرفنا من هذا التمهيد ومما يفسحه لنا البحث والاستقراء هذه الأوليات، استنتجنا أن معظم أسماء البلدان والمدن والقرى والأماكن والأشخاص، يرجع إلى هذه المعبودات وإلى أسباب أخرى ظاهرة اتخذوها علّة للتسمية. ثم تناقلوها وتداولوها على أسلوب التقليد دون النظر إلى الأسباب الأولية، فكانت معاني في الأسماء المذكورة متمثلة بمظاهر مختلفة تسر الباحث معرفتها سرور العالم بطبقات الأرض (الجيولوجية) إذا انجلت له غوامض الصخور والأتربة، وما أثرت فيها الفواعل الطبيعية وكيف غادرتها مبعثرة غريبة الوضع والترتيب، فيكتشف أسرار ذلك التأثير، ويحقّق ما عسر على غيره فهمه، فتعم الفائدة لأن الحقيقة بنت البحث، والفائدة بنت التمحيص والتحقيق والاستقراء.

ولهذا نجد هذه الأسماء تشف عن مسمّياتها كما تشف الزجاجة عما فيها. وكلما صفت الزجاجة، تحقق ما استبطنته من المواد. واليك الآن بعض الأمثلة من هذه الدلالات المختلفة التي تحقق لك كثيراً من المسمّيات والمقاصد. فاسم قارّة آسية من (إِس) اليونانية بمعنى الفجر. ولعلها من أصل شرقي أقدم كالسنسكريت وغيره، أو أنها غلب عليها الاسم اليوناني كما غلب على غيرها لأسباب صوابية. ومثلها اسم أناضول بمعنى الشرق، وأنتيلبنان بمعنى مقابل لبنان، وتراخونيتس بمعنى حجر، وهو اسم اللجاء في حوران، والبوسفور معبر البقرة. وفي سورية المجوّفة تجد آثار لغات كثيرة في الأسماء، فإن جديتا ومشغرة ألفاظ حثية،

والبيرة والفرزل (برزل) فينيقية، ومكسة وعمّيق عبرانية، ومندره وميدون يونانية. والمجدل ومجدلون كنعانية، ونحاح والكرك آرامية، وآون ومارع مصرية. وكسارة^(١) (قيصرية) لاتينية، والمرج والخربة عربية.

وإذا افتخرت بقعة في سورية بأساطير الأقدمين ووصف عباداتهم وبقايا أثارهم الوثنية، فالسورية المجوّفة أقدم فخراً لأنها لبثت مدة طويلة ملعب الوثنية الذي مثّلت عليه أهم أدوارها وعرفت خفايا عاداتها وغرائب أخلاق سكانها. فالشرقيون عبدوا الشمس والأجرام الفلكية لصفاء جوهم معظم أيام السنة وتأثير النور في نفوسهم، فانتشرت بينهم هذه العبادات الوثنية أحقاباً طويلة.

وبقيت الوثنية مزهرة إلى زمن الملك قسطنطين الكبير ووالدته الملكة هيلانة فقاوماها وحطّم الملك كثيراً من هياكلها التي ارتكبت فيها الفحشاء وأفسدت فيها الأخلاق، وأريقّت فيها الدماء البشرية ضحايا للأصنام الصامتة، وحولها إلى معابد مسيحية ولاسيما في سورية المجوّفة وفلسطين. ولوالدته هيلانة من الكنائس في فلسطين وحدها بضع وثلاثون كنيسة. ثم انقلب بعده يوليانوس الجاحد^(٢) فانتصر للوثنية وجدّد معالمها وناصب المسيحية العداء فاضطربت البلاد، ولكن عهد هذا الانقلاب لم يطل لأن ثيودوسيوس العظيم أجهز على بقية الوثنية، وسكّن ما تجدد من حركاتها ومحا آثار همجيتها، فتلاشت بزمنه وتقلص ظلّها عن هذه البقعة في أواخر القرن الرابع للميلاد، وابتدأ انتصار المسيحية عليها. فقامت بعض آثارها مقام تلك. ثم بعد بضعة قرون نشأت الديانة الإسلامية وتركت آثارها مطرّسة على ما

(١) وقيل آرامية بمعنى الخصب.

(٢) وصفه قاموس القديسين بأنه مرتد وشخصية مركبة جداً، فقد كان قائداً حربياً ومصلحاً اجتماعياً ورجل كلام وخطابات. وقد تولى عرش الامبراطورية الرومانية عام ٣٦١ م. وأطلق مباشرة حرباً على المسيح والمسيحية، وقد وضع ثلاثة كتب ضد المسيحية «ضد الجليليين» طعن فيها بالوهية المسيح وشكّك في أقواله وتعاليمه ومعجزاته، ورد عليه البابا كيرلس بمصنفاته العشرة. مارس الظلم والقسوة ضد المسيحيين والرهبان منهم بالأخص في الاسكندرية وبلبك وغيرهما. وقد قُتل في الحرب عام ٣٦٣ م. وبعده قام خلفاؤه بإعادة الاعتبار للمسيحية، وأرجعوا الأساقفة المنفيين إلى كنائسهم وأديرته. راجع: قاموس القديسين والمواقع الالكترونية (المحقّق).

مرّ من آثار غيرها، فكانت هذه التقلبات المتوالية داعيةً لتلوّن العادات والأخلاق والعبادات والأوهام والخرافات.

وامتزجت عبادة المصريين في سورية، فقليل إن السوريين نحتوا أصنام المصريين لإكرامهم، لأن ملك المصريين انتشر في سورية في عهد الدول المصرية الثلاث ١٨ و ١٩ و ٢٠ [ق.م] فامتزج الشعبان بالأخلاق والعبادات وخلطوا بينها، فوحد أهل جيبيل الإله أوزيريس وإلههم أدونيس وعبدوهما معاً. واكتُشف في غربي حمص كتابة يونانية تدل على تعبد السوريين للإله أوزيريس.

(زحلة وعلين): إن مار موسى عليّ إلى جنوبي زحلة على تلة فوق دير كسارة يدل على عبادة فينيقية هي (علّيون) وهو زحل ولعل زحلة تعريبها. أو أنها بعلم جمع بعل (أي أربابي وأسيادي) لأن الفينيقيين والكنعانيين عبدوا الشمس والقمر والسيارات، فكان البعل عندهم إله الشمس وعشتاروت إلهة القمر، وكانوا يقدّمون الذبائح البشرية على مذابحه ويختارون المرتفعات لهياكله. ولعل (شتورة) كانت لعشتاروت قبالة هذه.

قب الياس: ذهب المؤرخون في تسميتها مذاهب غريبة تكاد تكون مضحكة، فمنهم من قال إنها قبة الياس أو قبر الياس النبي أي إيليا المشهور. والبطريك إسطفان الدويهي يقول في تاريخه المطبوع صفحة ٩٧: «وفي سنة ٧٥٢ م (١٣٥ هـ) سار المقدم الياس إلى البقاع فنهب تلك القرى وقتل أهلها، فأرسل صاحب الشام إليه رسلاً ليعقد معه صلحاً، ثم أرسل [عسكرياً] فكبسه على حين غفلة وقتله. وبعد رجوع عسكر الشام، رجعت القرية تسمى قب الياس». فمعنى قوله: (رجعت القرية تسمى قب الياس) دليل أنها كانت بهذا الاسم قبل هذه الحادثة التي بنى عليها المؤرخون تسميتها (قبر الياس) ثم (قب الياس). وإذا قلبت صفحة واحدة من تاريخ الدويهي أي طالعت صفحة ٩٨ تجد كلاماً لابن القلاعي أحد مؤرخي الموارنة يدل على عدم إمكان هذه التسمية، إذ قال عن المقدم سمعان ابن أخت المقدم الياس المقتول ما نصّه: «ولذلك لما وقعت الواقعة، فرّ مع جملة من المقدمين ولم يحاموا عن أميرهم لشدة غيظهم منه، بل رجعوا بعد قتله فدفنوا جسده في قب الياس. وأمروا أن لا يذكر أحد اسمه لزعيمهم أنه عاش ومات مرزولاً». فمن هذا الكلام، فسرت الرواية التي

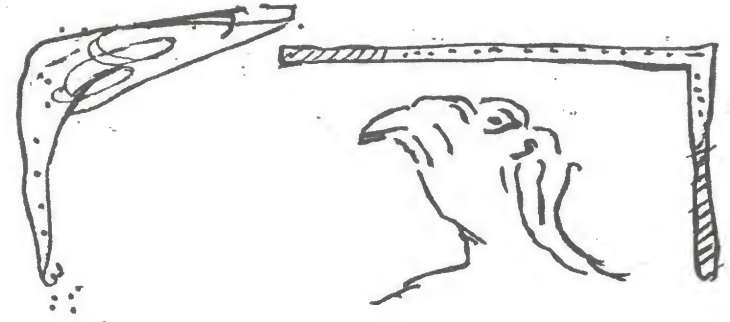
بُنيت عليها التسمية. وذهب البعض أن القرية مدفن النبي الياس كما مرّ وهو غريب. وأغرب من الروايتين ورد في تاريخ (الكنيسة الإنطاكية السريانية المارونية) للخوري مخايل غبريل اللبناني (٣: ٢٨٦) ما محصله: إنها سميت (قب الياس) لأن المقدم الياس ارتعد من الروم فخاف وهرب، وكلمة قب السريانية الرعدة والفرار. وأكثر القول إنها قبة أو قبر الياس. فانظر إلى هذه المجازفات التاريخية والمناقضات التحليلية في الأسماء. وقد أشار إلى فساد هذه التسمية الأب لامنس اليسوعي أيضاً.

وقرأت في برنامج كتب برلين (ألمانيا) ما هو: كتاب الأعلام في تاريخ بيت الله الحرام للشيخ الهمام القطبي الحنفي المكي رحمه الله فرغ مؤلفه من تحريره في ٧ ربيع الأول سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م). وسوّده لنفسه ولمن شاء الله من بعده... الحقيير يحيى جاويش بن محمد جاويش أحد الجاويشية بالباب العالي العثماني خلد الله تعالى دولتهم وأيد خلافتهم القاهرة وذلك تحت قلعة قبر الياس تابع ناحية البقاع العزيز في جمعية عساكر الإسلام على الأمير فخر الدين بن معن ونجز هذا الكتاب في ضحوة نهار الأربعاء خامس شهر جمادي الأول المنسلك في شهور سنة ١٠٤٣ هـ (١٦٣٣ م) (ثلاث وأربعين وألف للهجرة).

آثار قب الياس

عن مجموعة ملاحظات ودروس في الآثار صفحة ١٤٢ للأب رونزال اليسوعي بالفرنسية مجلد ٤ سنة ١٩١٤ من مجلة Mélanges de la faculté orientale في بيروت من المجلد السابع ص ١٠٥ - ١٨٧.

نسر قب الياس: هذا الأثر البقاعي (السوري المجوف) يمثل شخصاً برأس نسر ولباس (آشوري). وبالبحت الذي طرقت في مجلة الميلانج (الملتزجات) ص ٢٣٣ سنة ١٩٠٦ وتأكيدي بوجود رأس النسر أصبحت بعدها مشككاً بذلك، ولهذا السبب أحجمت عن الخوض في هذا الموضوع. وبعد ذلك اغتنمت فرصة وجودي مع الأب بوفيه لابيير P. Bovier - Lapierre المشهور بعينه الأثرية في أيار ١٩١٢ زرت هذا الأثر معه، فتحققنا كما ذكرت سابقاً أن الرأس رأس نسر وبهذه المناسبة أخذ رسمه الفوتوغرافي.



رسم نسر قب الياس

وكننت قد كتبت في سنة ١٩٠٦ عن أصل هذا النقش بأنه لم يُذكر رسم مشابه لذلك في البلاد التي ينسب إليها هذا الفن (أي ما بين النهرين).
«الرسوم التي هي برأس غير إنساني»^(١) برأس نسر هي كما أعلم تكون لها أجنحة وألبستها مختلفة عن هذا النقش. هل يجوز لنا أن نفتكر أن هذا الشكل هو تغيير غريب؟». (أ.ه).

الحقيقة التي لا جدال فيها أن هذا الرسم هو (سوري حثي). وهذا مثال رسمين على أسطوانة (سورية أناضولية) في غرفة النقود في المكتبة العمومية بباريز، وأسطوانة أخرى من مجموعة بيبربون مورغان Pierpont Morgan. ومن البديهي أن هذين الرسمين لهما كل التشابه مع رسمنا هذا، وإن يكن هذه المشابهة لا تنطبق تمام الانطباق على كل التفرعات، ولكن قرابة الشكلين لا جدال بها. أحد الفروق هو بالملابس، على رسم قب الياس الملابس هي أقرب إلى الآشورية بطولها وهيئتها. ولكن هذا الوصف الإجمالي هو ثنوي^(٢) ويمكن

(١) هكذا في الأصل.

(٢) واضح من النص أنه يقصد بالثنوي تلك العقيدة المزدوجة التي نشأت من فكرة أخلاقية بحثة في محاولة تفسير وجود الشر في العالم، بعد أن تم رفع الإله إلى أعلى مرتبة كمصدر للحق والسلام والعدل، وأن هذا الإله لا يصدر عنه سوى الخير. وأساسها القديم ما أطلقه الفلاسفة الفرس حول مبدأ الصراع بين قوتي النور والظلام: يزدن وأهرون. وهو أساس موضوع جدلي كبير، وقد ترك بصماته على العقائد الدينية السماوية والفلسفات (صراع المادة والروح) ووصل إلى الفنون. راجع علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧، ط ٨، ج ١، ص ١٨٩ (المحقق).

أن ننظر في تأليف ورد Word. The seal cylinders NO 952. أسطوانة في متحف برلين حيث الأشخاص أنفسهم برؤوس نسور يلبسون ثوباً يشابه ثوب رسمنا.



رسم يدوي للمؤرخ المعلوف

وإيضاح آخر يجعلنا نشك بتمائل الرسمين هو العصا (العكاز) الذي بيد رسمنا وهذا الرمز (بالعصا). يجعلنا نظن بأنه إله. حالة كون في الأسطوانات الشخص هو جني (ملاك شر) أو محرّض على الشر (إله ثنويّ مشابه لهؤلاء الإلهات [الإلهات] الثنوية التي غصت بها معابد نينوى وأشور) ومن هذا يستنتج أن الأجنحة لم تكن ضرورية لهذه الرسوم، ويمكن أن توضع لإله كما أنها يمكن أن توضع لهؤلاء الجنين (الأرواح الشريرة).

ما هو هذا الإله أو هذا الجنّي؟

من المقارنة بين رسوم الأسطوانات ورسمنا - رسم قب الياس يظهر لنا بدون جدال أن الفنيين (المتفنيين) اقتبسوا من الأشكال التي كانت موجودة في أشكال عصرهم. ومن المحقق أن تلك الأسطوانات تجعل لنا بالوقت الحاضر مرجعاً ثميناً ومنها يمكننا أن نحدّد تاريخ الصناعة الدينية [و] الفن الديني في سورية. وتاريخ أثرنا هذا يمكن أن نحددها تقريباً وتلك الأسطوانات التي قارناها به لا تتجاوز الألف سنة من عهدنا. ويمكن أن تلك الأسطوانات تكون من القرن الثامن أو السابع^(١)، ولا نكون قد أخطأنا كثيراً إذ أرّخنا رسمنا بما يقارب هذا العهد.

وفي مجلة المشرق ٢٧١:٨ ما نصّه:

(١) يتحدث المؤرخ المعلوف هنا عن القرنين السابع أو الثامن قبل الميلاد وليس بعده (المحقق).

«أرسل المسيو ساس Sayce إلى مجلة الحفريات الفلسطينية (Jef, 1904, p.286) صورتين فوتغرافيتين غريبتين أخذ رسمهما عن صخور ليس بعيداً من قب الياس، غير أن رسمهما ليس بواضح جلّي لتعريف فحواهما. والواحدة منهما تمثل الآلهة على زي المعبودات اليونانية، أما الثانية فيرى فيها ثور على ظهره أسد وعلى جانبيه عجالتان. وفي كل هذه الآثار بعض الإبهام».

تمثال قب الياس: تاريخ لبنان ص ١١١: محصله

ومما اكتشفه الأب سيستيان رونزفال (اليسوعي) في رأس العين عند نهر قب الياس على مسافة نصف ساعة منها في ملك يوسف أفندي قيقانو نصب آشوري قديم منقور في صخر عالٍ يمثل شخصاً واقفاً على طوله الطبيعي مرتدياً بثوب طويل ترى من تحته رجلاه، في يده اليسرى مخصره أو صولجان أما اليمنى فيمدها إلى الأمام. ورأسه رأس نسر وليس رأس بشر وصفه هذا الأب مع صورته في مجموعة المكتب الشرقي في كلية اليسوعيين في بيروت السنة الأولى منها ضمن ٢٢٣ - ٢٣٨ وكان يظن وجود كتابة تفيد شيئاً عن هذا الأثر فخاب أمله. ثم ألّف رسالة فرنسية في هذه الآثار طبعت سنة ١٩٠٦ في ٢٨ صفحة.

في آثار وادي سورية المجوفة القديمة

قب الياس: محلة (حَيْدَرَة) فوق قب الياس إلى الجنوب، وربما كانت يونانية من (هيدرا) أي ماء، فوق سهلة (المَزِينَة) وفي حيدرة نقر ثلاثة أبواب أو سطها الأكبر وفوق كل منها قنطرة بأعمدة ناتئة تدل على أنها محاريب أصنام.

تحت (عين الحانوت) على طريق عين دارة إلى الغرب الجنوبي من قب الياس (صورة ثور) غائرة كبير الحجم في صخر شاهق وهو أكبر من حجم ثيران اليوم.

قب الياس: مرّ بنا أن اسم القرية من (قب) الفينيقية، أي مركز أو أنها تحريف (آبل) بمعنى مرج. أو من (أيلوس) الشمس. وقلعتها كانت معبداً للشمس فحولت قلعة وزرتها في ٢١ أيلول سنة ١٩١٦ وهذا ما رأيت. في محلة (رأس العين) وهو ينبوع قب الياس مياهه غزيرة خارجة من صخرة مشقوقة متفرقة بين الضفتين الجنوبية والنهر في وادٍ صخري

عميق على علو نحو خمسين متراً صخرة واجهتها إلى الشمال وعليها تمثال طوله نحو مترين بعرض متر على صخرة ناتئة بعلو نحو ١٢ متراً. وهذه صورته



رأس النسر وجسد تمثال رأس العين في قب الياس

وهو يمثل رجلاً يشبه التماثيل الحثية ويده اليمنى مشيرة إلى الشرق ولعله اله الشمس يدل على مطلعها. وإلى الشمال الشرقي منه مركز في صخر متفتت يمثل قاعدة تمثال محفورة في الصخر وإلى شرقها الشمالي القريب صخر ناتئ عليه شبه تمثال غير ظاهر اليوم. وهناك مغاور كبيرة تدل على طور الظران في ذلك الوادي، أي وادي رأس العين وفيه مطاحن قديمة مشهورة.

قلعتها

وقلعة قب الياس على تلة فوق القرية إلى الشمال بثلاث طبقات باق منها الآن قائم فقط (الحائط الغربي)، وهي كبيرة الحجم وفيها بئر (خزان ماء) بكلس متين البناء بطول عشرة أمتار وعلو ستة. وتحت القلعة قبو ضخم قديم بطول نحو ١٥٠ متراً وعرض نحو ٧٠ متراً. والجدار القائم الآن يعلو نحو ١٥ متراً.

وإلى الشرق الشمالي من القلعة على زاويتها برج يشرف على السهل مهدوم الآن،

وتحت صخر عالٍ على علو نحو ٧٠ متراً وعن سطح السهل يعلو نحو مائة متر، وعلى سطح الصخر بعض حجارة قديمة.

وفي صخور منضدة إلى الجنوب محلة (حيدرة) وأمامها سهلة تسمى المزيّنة حفر في صخرتها المشرفة إلى الشرق ثلاثة أبواب على خط واحد علو كل باب فيها نحو ٥٠ سنتماً مربعاً بعرض مثله تشرف على السهل وطريق العربات: ولعلها كانت محل تماثيل للشمس فيها مرآة تعكس نورها إلى الجبل الشرقي فسميت برّ الياس (أي ابن الشمس) بذلك لأنها مولدة منها.

وفوق هذا التذكّار صخور عالية بينها صخرة قد نحتت نحتاً متقناً، تشرف على الشرق، حُفر فيها ثلاث^(١) أبواب، أكبرها الأوسط على خط واحد، علو كل باب منها نحو خمسين سنتماً مربعاً بعض مثله، وفوق كل باب قنطرة بأعمدة ناتئة تدل على أنها محاريب أصنام، تطل على السهل وطرق العربات. وفي طاقتها توضع مرآة تعكس نور الشمس التي ترسل أشعتها على تلك البقعة حال بزوغها إلى ما يقابلها في سفح الجبل الشرقي ولاسيما قرية برالياس (اليونانية الأصل بمعنى المعاكس للشمس) أو هي سامية يونانية بمعنى ابن الشمس ليعبدها الصابئة.

وفوق العتبة المثلثة باب [عليه]^(٢) كتابة قديمة واسمها^(٣).

إلى جنوبي القرية على بعد قليل محلة المزيّنة وهي نحت في الصخر جميل وفوق عتبة تمثل باباً كتابة (على أجر الكلب) قرب المزيّنة على مفرق إلى وادي الدّكّم تحت ظهر البيدر (راجع تاريخ الرهبنة الأنطونية، ص. ٤٨٣).

في قرية قب الياس (سنة ١٩٣٧) [حوالي] (٢٢٠٠) نسمة ومساحة أرضها ستة آلاف دونم مع الكروم والبساتين والسليخ والمشاعات وهي خصبة الأرض، كثيرة البساتين والأشجار، غزيرة المياه.

(١) ثلاثة.

(٢) زيادة من المحقق ليستقيم المعنى.

(٣) هكذا في الأصل لم يذكر الاسم (المحقق).

في قب الياس كنيسة الآن للروم الأرثوذكس باسم مار الياس لتوهم أن القرية باسم (قبة الياس أو قبر الياس) أو أنها للنبي الياس باسمه تبركاً.

وفيها جامع النبي الياس الآن أصله كنيسة حوت إلى جامع وجدت فيه آثار قديمة ومدافن (خشائش) فيها عظام ضخمة جداً كما يعتقد السكان. وموقعه قرب الجسر تحت الكنيسة على بعد منها.

في نصف سوق قب الياس على عمق ٣ أمتار وجد حجر شبه منقل النحاس حوراني (أسود) مجوف.

إلى قبلي البلدة على بعد ثلث ساعة (أرض البيضاء) وهي أطلال أبنية كلها بيضاء كبيرة وصغيرة وفيها أعمدة صغيرة (شمعات) بيضاء.

وفي الكروم شمالي البلدة توايت حجرية (نوايس) وهناك وُجد وعاء فخار (دويك) من التبر وهناك محل (عمراً) وجد على عمق أربعة أمتار فيها (سرج فخارية).

(عين الحانوت) ساعة على الماشي، [بها] آثار أقنية تدل على جرّ مياهها إلى قلعة قب الياس - ظهرت قساطلها عمار (غير فخار).

وكانت هناك طريق قديمة إلى ظهر البيدر من عين الحانوت إلى فم النفق (التونيل). (نبح رأس العين) فوق مطحنة المريجيات يُجر إلى قب الياس الآن وفيه الكهربا^(١) التي وُزعت على قب الياس وجوارها لمؤسسة شركتها نحو سنة ١٩٣٣ م.

قب الياس: الصواب أن (قب الياس) مركبة من (كَبَال) بمعنى المعبد (وإيلياس) بصيغة الإضافة بمعنى الشمس، فيكون مركب اسمها اليوناني (معبد الشمس) و(برّ الياس) مركبة من (بارا) اليونانية بمعنى معاكس و(إيلياس) الشمس. فالمعنى معاكس الشمس عند شروقها.

قب الياس: وفي أيلول سنة ١٩٣٥ ظهرت في كرم بأرض قب الياس قطعة خزفية بشكل إبريق صغير فكسرت وظهر فيها نحو ٣٠ قطعة ذهبية كتب عليها اسم (الملك الظاهر) وهي من الذهب الابريز فأخذ الفعلة بعضها، وصاحب الكرم بعضها، والبقية أخذتها الحكومة.

(١) الكهرباء.

واليونان يسمون (فينيقية الساحلية) (فِينِيكُسُ بَارَ اليَّاس) أي فينيقية مع السفح لأن (بار اليَّاس) بمعنى على السفح.

أطلال بر الياس: حول بر الياس مزارع خربة هي (تلة أم حسين والمختبيّة وتل حمزة وتل السرحون وتل دزة وتل الكبش وجدوا فيه خشب صنوبر قديم وعدسة قديمة).

نهر البردوني: إمّا من (بردون) بمعنى شديد الجري لأنه منحدر في أعالي منبعه قرب (قَعْقَرَيْن)، أو من (بَر) بمعنى ابن و(أدوني) بمعنى سيدي، وهو اسم تموز (أدونيس) وهذا رأي ابن العم الدكتور أمين بك المعلوف.

وله رأي آخر بمعنى الزلازل من (برذونياس) اليونانية ولعل من هذا الوجه اسم زحلة. (أَنْدِلُو) (العندلة) ما يستقى به الماء على ظهر حمار، يونانية بمعنى الاستقاء. أندلياس و(آس) محل مستقى الماء فلعل من هنا اسم إنطلياس.

إيلياده (من إيليا تروادة).

سعدنايل: في سنة ١٩٢٣ ظهر في سعدنايل فسيفساء رومانية في ملك بني بايجيني.

أسماء وأماكن وقرى في سورية المجوفة

عند تحليلنا أسماء هذه البقعة السورية التي تعاقب عليها الكثير من السكان والعبادات واللغات والأساطير، نجد في مركّباتها ما يساعد على تحقيق تأريخها ويسفر عن صواب مباحثها وشؤونها القديمة.

فدونك كلمة (بعلبك) التي هي أقدم من غيرها كما أن قلعتها مترامية في القدم، تجدها مركبة من لفظتين (بعل) و(بك) فبعل^(١) اسم للشمس وبك اسم للبقاع أو سورية المجوفة، كلها ولعل بك بقية باكوس إله الخمر. فالمعنى بعل البقاع أو السهل. وسماها اليونان (هليوبوليس) قبل الميلاد (بثلاثة قرون ٥١ و ٥٥ من أليوس) أو هاليوس بمعنى الشمس و(بوليس) بمعنى مدينة. ثم أعيد لها اسمها القديم لتغلبه على سكانها وإفهم له.

وإذا بحثنا في أسماء أماكنها التي من هذا القبيل نجد اسم قرية (قب الياس) مركبة من كلمتين (اليوس) بمعنى الشمس وقب مقربة بمعنى الزاوية، وقب بمعنى مركز في الفينيقية. وقد تكون مركبة من (آبل) العبرانية بمعنى روض أو مرج وبالسريانية بمعنى ابن وكذلك بالنبطية أي (آبل اليوس) بمعنى مرج الشمس. وعلى مقربة منها اليوم قرية المرج. ومثلها بل

(١) شاعت عبادة البعل في جهات مختلفة أخصها سورية المجوفة التي تفتخر بأعظم هيكل له في العالم ومن أسمائه (البعل أو البعلوس) عند الآراميين والكلدان (وإيل) عند الفينيقيين و(مولك أو ملك) عند العمونيين و(فيلوس أو أبلو) عند اليونان و(بيلوس أو ساترن) عند الرومان و(زحل) عند العرب. وقال بعضهم: اسم أيل كان عند الآراميين. وبعل عند الكنعانيين (المؤلف).

والفعلي أن أيل هو أول الآلهة الكنعانيين وأب الآلهة والبشر وهو القديم وسيد الزمن والرحوم العطوف. وخلال حكمه تزوجت الإلهة آتات من بعل ودمرت إله البحار (يام) وكذلك (موت)، وتم تنصيب بعل إلهاً للمطر مصدر الحياة، قاموس أساطير العالم، ص ٢٢ (المحقق).

قبالته إلى الشرق (بر إلياس) مركبة من كلمتي بار العبرانية وبمعنى ابن وهي كذلك بالنبطية و(اليوس) اليونانية بمعنى الشمس أي مصغر الشمس. أو من بر العربية فيكون المعنى (بر الشمس)، أو من (بير) أو (فير) المصرية بمعنى بيت، أو أنها تحريف كلمة بورياس Boreas إلهة الريح الشمالية عند اليونان.

ومثلها كلمة أنطلياس قرب بيروت فهي مؤلفة من (أنتي) بمعنى مقابل و(اليوس) بمعنى الشمس لأنها تناوح الشمس. ومن الخرافات الدائرة على ألسن العامة أن أحدهم قال لالياس (أنت اليوس) فسمي به (أنطلياس) فهرب فقيل (قب الياس) أي هرب. فلحقه إلى (بر الياس).

وقب الياس الأرجح أنها من (كبّال) بمعنى معبد و(إيلياس) بمعنى الشمس وهما يونانيتان أو من (آبل) عبرانية بمعنى المرح و(إيلياس) اليونانية بمعنى الشمس.

والذي رأيته أنا مؤلف هذا التاريخ في تسميتها أن اسمها مركب من كلمتين (فينيقية وهي قب) بمعنى مركز و(يونانية إليوس) بمعنى شمس. فمعناها مركز الشمس، والظاهر هيكلها المقابل للشمس والصورة المنقوشة في غربها الشمالي على ضفة نهر رأس العين الجنوبية التي وصفناها في آثار سورية المجوفة هما أكبر دليل على تسميتها هذه. وشمس الكافر إذا عبد الشمس فكانت محلاً للتشميس.

وأما قول مؤرخي العرب وبينهم الدويهي وغيره أنها منسوبة إلى المقدم الياس من أمراء المردة الذي فاجأه رسول صاحب الشام وقتله غفلة سنة ٧٥٢ م (١٣٥ هـ) فسميت (قبر الياس) وخففت بكلمة (قب الياس) فينقضه قول ابن القلاعي في مختصره: «ولم يحاموا عن أميرهم لشدة غيظهم منه، بل رجعوا بعد قتله فدفنوا جسده في (قب الياس) وأمروا أن لا يذكر أحد اسمه البتة لزعيمهم أنه عاش ومات مردولاً» فلذلك كان الأولى أن لا يسموا البلدة باسمه. (فتدبر).

ولم يفت المصريون هذا التأثير فسموا سورية المجوفة (بقعة آون) بلغتهم. وآون بمعنى الشمس فاتفقوا جميعهم على عبادة النور والحرارة. لم يحلل الأب لامنس اسمي

قب الياس وأنطلياس، ولكنه أكد قب الياس وأنطلياس وبر الياس. وأقدم من ذكرها عند العرب باسم بعلبك امرؤ القيس عند سفره إلى القسطنطينية بقوله من قصيدة^(١):

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولابن جريج كان في حمص الكرا

والكرك: على مقربة من زحلة هي عاصمة البقاع في القديم ولفظها سرياني (كركحي) أو (كزفير) أي الحصن ومعقل المدينة المسورة وتضاف إلى غيرها فيقال مثلاً (كرك نوح) أو (كرك نوح) وفي شمال سورية و(كرك ليداني) و(كرك يشان) و(كرك تفلت نينيب). وسمّاها مؤرخون أيام محاربة المصريين للسلوقيين اليونان (....)^(٢) وهي تحريف. والذي أراه أن كلمة نوح أصلها عند البابليين والآشوريين أحد مثلثهم وهو أنو وبعل ونواح، وربما كانت الكلمة (كرك نواح) أي حصن هذا الإله، مثل (قصر نبا) أي قصر الإله عطار، فأنو يمثل المادة، وبيل القدرة المنظمة ونواح الإدراك فحرف نواح إلى نوح.

وأصل سعدنايل: كما يظهر صيدون أيل^(٣) لا سيد نايل كما تمحل بعضهم، وصيدون هو نبتون فينيقي الأصل (بو صيدون أيل)، أو أنها (شعدأل) المذكورة في الكتابات التدمرية بمعنى سعد الله. أو أنها مركبة من (سعد) وهو اسم معبود كان لبني ملكان العرب بشكل صخرة. و(نائلة) من أصنامهم أيضاً بصورة امرأة. قال الشاعر^(٤):

(١) ورد هذا البيت في معلقة الشاعر الجاهلي امرؤ القيس لدى سفره للاستنجاد بالقيصر جوستينيان بعد مقتل أبيه، وفيها:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

راجع: الموسوعة العالمية للشعر العربي وفي ديوانه ص ٩٦، ولابن جريج في قرى حمص أنكرا (المحقق).

(٢) غير واضحة في الأصل وإن كان يمكن قراءتها الكلس (المحقق).

(٣) إن (بعل صيدون) هو الشمس من معبودات صيدا الفينيقية. و(بعل عشتروت) أي القمر لها أيضاً، و(بعل) قرية قرب الغينة في كسروان. و(كفر بعل) قرية في وادي الفيدار في بلاد البترون (المؤلف).

(٤) قائل هذين البيتين هو رجل من بني ملكان بن كنانة بن خزيمة، جاء بإبله إلى صنم لهم يدعى سعد يلتمس بركته للقطيع، فنفرت الإبل فرماه بحجر. ثم جمع إبله وقال هذين البيتين: راجع سيرة ابن هشام، دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٨٧، ج ١، ص ٧٦. والتنوفا هي الأرض الجرداء. (المحقق).

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعو لغى ولا رشيد ولعل منها اسم السعيدة في قضاء بعلبك.

تعنل مدينة في فلسطين ولعل (تعنل إيل) حُرِفَت تعنايل، وتعنايل ربما كانت من (تعن) أو (تع) أي الإله. وربما كانت (بدنايل) تحريف بيت أيل أي بيت الله، وبهذا الاسم قرية في فلسطين اشتهرت فيها عبادة الفينيقيين. وتعنك عبرانية بمعنى أرض الله فلعلها من (تعنك) و(أيل) والأولى اسم مدينة في فلسطين. وقال بعضهم إنها من (إله التعس) مقابل (سعدنايل) أي (إله السعد). وربما كانت محرفة من (بعل نائل). ونائل هو العزى عند العرب أي نجمة الصبح، وكانت قريش وكنانة تعبدونها بشكل شجرة وتسمى كبر، و(ذكر) العزى الإله (عزير). ومنها (بدنايل) و(قرنايل) فالأولى تحريف (بيت نائل) والثانية لها وجه آخر ذكر باسم وادي القرن. وعزير إله سامي من معبودات الشمس أكرم في الرها وحمص.

تعلبايا: نسبة سريانية إلى بني تغلب أو تغلب سكان البقاع من السلاسل العربية. ذكرت في إقطاع التنوخيين.

وبوارش: (١) ولعل تحريف (بروشوم) التي ذكرها مؤرخون في حرب الفراعنة والسلوقيين في القرن الثالث قبل الميلاد وبروشون أو بروشوم يونانية بمعنى (محل عشتروت) أي الزهرة وبرش بمعنى السرو وهو رمز عشتروت عندهم. ومشغرة إما حثية ومن بقايا هذه اللفظة الشاغور في حمانا وصيدنايا ودمشق، ومحل في أول قرية عبيه بلبنان. وجسر الشغور قرب حلب في إقطاع التنوخيين. وبلاد الشاغور (٢) في جهات عكاء. وإما عربية من شغرت البلاد إذا [خلت من سكانها].

(١) ولعل بوارج تحريف (بِرْجي) اليونانية بمعنى أبراج أو لرؤية البوارج البحرية من على جبلها وإرسال النبا إلى دمشق بالنار عند وصولها للتأهب للحرب.

(٢) الشغور قلعة في جوار إنطاكية على شاطئ العاصي والطريق منها مسلوكة إلى اللاذقية وجبله وصهيون كانت بزم من الصليبيين حصينة وتقابلها قلعة أخرى تسمى بكاس. وجسر الشغور قضاء بولاية حلب فيه ١٠١ قرية وناحيتان هما الأردوي والمضيق (أفامية) ومن قراه (٦٢) تابعة لجسر الشغور رأساً و٣٣ للأردوي و٦ للمضيق. والشاغور في سورية بين عكا وطبرية. وشاغور غور بلاد في أواسط آسية والشاغوري الدمشقي المنسوب إليه لأنه وُلِدَ في باناس بعد سنة ٥٣٠ هـ [١١٣٥ م] وتوفي سنة ٦٥٠ هـ [١٢٥٢ م] (المؤلف).

وذلك لأن بني تغلب أو تغلب من هذه البلدة هيجوا الأهوية في البقاع وأثاروا الفتن سنة ١٢٨٨ م فقبض عليهم لاجين نائب الشام وسجنهم بالقلعة وصادرهم بمائة ألف درهم. ويحتمل أن تكون من (ميشا) ابن آرام و(كارا) حصن.

وميسَ غربي الحولة من ميشا، وعوض أخ ميشا سكن حوران وحول في الحولة. وكامد يرجح أنها تحريف (كاميتوس) اليونانية بمعنى القمح. ولعل القمح العربية للحنطة من هذه الكلمة (ربما مصرية كلمة القمح). قال شيخ الربوة في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر): وبأذيال لبنان مدينة كامد وهو عمل من أعمال بعلبك. (حرفياً كافيتوس) كامد اللوز. وسماها البشاري كامد.

ومُدُوخا: ربما من كلمة متخ بمعنى المستنقعات، أو من كلمة يونانية هي (دُوخِيُون) بمعنى الإناء وتفيد الاستنقاع، ولعلها تحريف (بدوغا) قيل فيها (بيت دوخا) أو تحريف (بدوغا) بالمصرية القديمة بمعنى (البطيخ) وهي مشهورة [به].

قيل فيها (بيت ذوخا) على التخفيف ثم (بذوخا) فمذوخا بالإبدال وأهملت الذال بلغة العامة أو محرف (مردوخ) الإله البابلي الذي يوافق عند قدماء الكلدان المشتري أو جوبيتر ومعناه ذبح وموت. ويرمز إليه بالمريخ.

ومدوخا عن لسان الخوري إبراهيم حرفوش العارف بالسريانية: من (مايا دوخا) سريانية بمعنى محل الماء، ومنها المتخ لمحل المستنقعات ومثلها (كتَرمايا) أو (كتارمايا) بإقليم الخروب بمعنى (أسن الماء أو ركذ). ومنها (مايا رَبّا) بالكلدانية (ميروبا) أي الماء الكثير أو ضجيج الماء. ونهر الجعماني قرب صليما في لبنان يرجح أنه سرياني من (قَعَت مايا) أي ضجيج الماء.

وجرن يونانيتها غُورْنا أي ناووس حجري وغرنة أو عِرنة في جبل الشيخ وهي بالاسم قرية فوق الخربة. (ص. ٥٧).

مجد معوش: ربما كانت (معوش) تحريف (مولوش) وهو إله فينيقي عبده في قرطاجنة. وهو (مولوخ عند الكلدان) أو مجدل العجل.

وكفردينس: ربما كانت من كفر السريانية بمعنى الحقل و(دينس) تحريف (ديونيس)

أو باخوس وهو إله الخمر، ولعلّ منها قرية كفر دان محرفة أو (أنها تحريف كفر لودان) ودان، للظرفية بالفارسية. وكفردينس فوق خربة قرية كبيرة اسمها (غرنة).

وبلاط: يونانيتها (بَلَاتِيُوم) وقرب الشام بمعنى دار الملوك وهي قرب جبيل. أو أنها تحريف (بعل باليت) أو بلاتي بمعنى عريض وبَلَاتُوس عَرَض، وهذا البعل كان هو وبعل تموز من معبودات الفينيقيين في جبيل. أو تحريف الإله (بلوتون) سلطان الجحيم عند اليونان.

ومَنْدَرَه: يونانيتها (مانْدَرَا) بمعنى حظيرة الغنم. وكانت مناسك للرهبان. وهي بين برالياس وقب الياس.

وبَوَارِج: ربما من كلمة بَيْرْجي اليونانية بمعنى أبراج، أو أن جبلها المسمّى جبل بوارج سمي بذلك لأنه كان يُستكشف منه قدوم بوارج البنادق أي سفنهم الكبيرة بعلامات نارية والبعض يكتبونها ويلفظونها (بوارش).

ومَيْدُون: اسم إله يوناني في الأساطير (ميدون) و(أميدون) مدينة فيوتية وميثوني Methone بلدة في مغنيسية أو تحريف ماذون بمعنى خصومة. وتوجد مدينة ماذون قرب حطين وهي ملكية للكنعانيين...^(١)

وقَلْيَا: يونانيتها كَلْيَا بمعنى الظرافة أو بمعنى قَلَايَة أي كنيسة أو بيت خشبي ومخزن قمح وتأتي بمعنى عش الطير. وفي الإلياذة (كَلَا Gilla) بلدة في طروادة أو تحريف أَلْيَا Halia بحرية إحدى بنات البحر. أو قليارس القرية أو قليانيرا بمعنى صالحة إحدى بنات البحر.

وقَلْيَا لعلها يونانية ولفظها اليوناني (قَالِيَا) أي كوخ هو بيت صغير وصومعة منها Cella (سَلَا) في اللاتينية. أو هي من (قَلْيُون) اليونانية بحذف علامة الرفع (أُون).

كسارة: إما تحريف (سيزاره) أي قيصرية، وفيها ظهرت آثار نقود للقيصر كثيرة، وإما أنها بابلية بمعنى (الكرم) وهو الأولى لكثرة العنب لتكريم باخوس، وإكسارا يونانية بمعنى الستة.

(١) غير واضحة في الأصل.

بدنايل: توجد قرية بهذا الاسم فوق الهُزِّي بالكورة برأس الشقعة وهي مزرعة سكانها مسلمون. ولعلها مركبة من (بيت) و(إِينِيال) من الإلهة الفينيقية بمعناها (بيت إينيال) ثم بدّلت إلى هذه الصورة.

ولعل بدنايل منحوتة من (بيت آون أيل) - أو (بيت نايل).

جَدِيْتَا: يقال إن اسمها (قرية الأجدات) أي القبور لكثرة المدافن فيها من مغاور وأجران وبعضها رومية.

المريجات: بقعة على سفح جبل الكنيسة الجنوبي كان الأمراء اللمعيون قديماً قد بنوا فيها خاناً قرب عين ماء، ثم اتصل الخان بالشيخ منصور الخوري الناكوزي من صليما ولم يكن في المريجات بناء غيره، فانتقل إليها وبدأ الصليميون وغيرهم يسكنونها. ثم إن الأمير عساف اللمعي بنى مطحنة صغيرة على نبع الشواغير بأعلاها وخاناً قربها، ثم اتصل ببيت الحاج نصار من بكفيا. وجاء أحد الفرنسيين المسيو (فاري) فتملّك المطحنة المذكورة وبنى موضعها مطحنة بآلات حديثة تدخل إليها الحنطة فيصير تنظيفها وطحنها فتخرج دقيقاً جيداً جداً. ففي إحدى السنين اشترى (فاري) وشركاه من حاصلات البقاع قمحاً كثيراً، ولما طحنوه لم يُخرجوا منه الزوان^(١)، وارسلوا من هذا الدقيق كميات وافرة إلى بورسعيد، فهناك اتضح عدم جودة الدقيق، فكان سبباً في إفلاسهم فطُرح الطاحون في المزاد العلني، فاشترها نعمان المعلوف (عضو مجلس إدارة لبنان سابقاً) وهي الآن بيد حفيده قيصر ابراهيم نعمان المعلوف، فبدأ عمران المريجات. ومنذ نحو سنة ١٨٧٦ جاء حبيب فارس من صليما، وبالاتفاق مع المهندس فيلكس شفالييه الفرنسي، عمّ زوجته عمراً داراً في المريجات، وكانت الخلافات بين الولاية ولبنان على الحدود، فأخذ حبيب على عهده مساواة الخلاف وفاوض الاستانة فأنفذت لجنة من الحكومتين للتحديد، ولما فصلت

(١) الزوان أو الزوان، حبة صغيرة سوداء اللون تنبت مع القمح وتُحصَد معه، ويتسبب تركها بين حبوبه وطحنها معه بلون أسود يتعرض له الطحين، وبطعم المرورة الأمر الذي يُفسد مذاق الخبز. وقد استعمل الفلاحون القدماء الغربال لتنقية بذورهم منه. وهناك الكثير من الأمثلة حول الزوان في الأمثال البقاعية وغيرها «زوان ابن عمي ولا قمح الغريب» و«زوان ابن البلد ولا القمح الصليبي» وغيرها (المحقق).

الحدود تملّك حبيب بقعة جميلة في المريجيات وبنى فيها داراً وحديقة، وصار السكان يتعاونون منه ويعمّرون ويغرسون الأشجار، فاشتهرت المريجيات ولاسيما لإقامة المحجر الصحي (الكوردون)^(١) فيها في أيام حدوث الداء في دمشق. وصار موقف السكة الحديدية فيها، وصارت تنمو واشتهرت بجودة المناخ وعذوبة الماء. وفيها معدن تراب خزفي صنّع منه حبيب فارس بإدارة (يوهان كولب) الالمانى أدوات جميلة.

والقنعة تحت المريجيات وفوق قب الياس تابعة لبنان بزمان الحرب وقبله، فيها أطلال قديمة وفخّار كثير وفي سفحها إلى الشمال عين (الحبش) وأبنية قديمة وقساطل خزفية وقرميد قديم. ووجد بعض الذين بنوا في المريجيات نقوداً ذهبية خالية من الكتابة، وكذلك عمال السكة الحديدية وجدوا قطعاً من الذهب.

حوش حَرِيمَة: لعلّها (حُرِيم) من حر العبرانية بمعنى المغارة ومنها (حوران) والهوريون من سلالة كنعان سكنوا المغاور فسموا بذلك (راجع ص)^(٢).

شمسطار: قرب سلوقية فيها آثار في محل يسمى عين حَمْدَه مثل قساطل فخار لجر المياه وحجارة ضخمة وآبار ونقود ونحوها.

مركبة من (شمس) المعروفة و(طار) تحريف (طور) أي جبل الشمس، وأما قول العامة [من] أنها منسوبة إلى رجل اسمه (شَمَص) عندما (طار) أي ثار فليس بصواب.

وقربها مقابل حوشبية تل الشريف وهو تل كفرحتني (حتنا) لعلها الحتي وقيل في المثل: غلة البقاع كثيرة قال طاحون تل حتني وراها، والطاحون كانت بثلاثة أرحية وهي خراب. والتل سمي تل الشريف لأن أحد السادة من الشيعة لما طُرد من بغداد لإدعائه الخلافة، نزل بهذا التل، فنسب إليه وقربها خربة (مصريا). وهذا السيد نقل إلى (هُمز)،

(١) كلمة cordon لاتينية الأصل وتستعمل الآن في كلتا اللغتين الفرنسية والإنكليزية للدلالة على المكان الذي يحجر فيه على المسافرين العبور إلى الدولة، قبل التأكد من خلوهم من الأمراض المعدية. كما تستعمل كلمة الكرنتينا للدلالة على مكان الحجر نفسه، والكرنتينا اسم لمحلة في بيروت، أقام عليها إبراهيم باشا محجراً صحياً لمدة ١٥ يوماً للوافدين عبر مرفأ بيروت (المحقق).

(٢) هكذا في الأصل.

وهي قمز الآن في المنيطرة، ثم في (عوذة) ومنه سياد شمسطار جاؤوا إليها أخيراً. وحول هذا التل الآن مطاحن كثيرة.

إيعات: ربما كانت مركبة من (إيل) إله و(عَنات) أو أناتس ربة السوريين عموماً فالمعنى (الإلهة عنات). وأيل (عَيَات) في أشعيا ٢٨: ١٠ مدينة في فلسطين (وفوقها قرية عيناتا). لعل إيعات محرفها أو (قيعات) جمع قِيعَة بمعنى بقعة ومنه قيل (سراب بَقِيعَة) أي في قِيعَة.

النبى شَيْت: (سخت) ترسم بجسم امرأة ورأس لبوءة عليها قرص الشمس (فلعل تشيبتها أوجدت شعث واللبوءة). ويظن البعض أن هناك قبر شيت ابن آدم الجد الأول للعالم، والذي نراه في هذه التسمية أن (شت) أو (شتخ) اسم معبود حثي ثم حُرّف بما يقرب منه فجاء على هذه الصورة. أو أن شيت تحريف (سخت) وهي معبودة مصرية ترسم عادة بصورة لبوءة أو امرأة برأس لبوءة ومنها اسم (شعث). وقرية اللبوءة مقابلها باسم المدينة الرومانية (ليو) التي ذكرها أنطونيوس في أسفاره، وهو رأي مخايل أفندي ألوف البلعلبكي صديقي، وشيت إله حثي.

ويُت شامًا: منسوبة إلى الإلهة (شِيمًا) الآرامية. وسميت في بعض المخطوطات منذ مائتي سنة (بِگت عشام) (أشيما) بلدة في تراقية. و(شِيمًا) جزيرة قرب رودس تسمى الآن سِيمين. وسيميا بمعنى مينرفا آلهة الحكمة اليونانية، وكانت عبادتها شائعة بين حمص وحماة.

ومن القرى المنسوبة إلى هذه الإلهة (كَفَرشِيمَا) في متن لبنان. و(شَامَات) في بلاد جبيل. (وبَعْل شَمِيَة في المتن الأعلى) وربما كان هذا تحريف (بعل شَمِين) أي إله السماوات عند الساميين. ومنه (شَلْبَعْل) في بلاد الشقيف، و(قبر اشمون) قرب عيناب في الشوف. و(أشمون الرمان) في القطر المصري مدينة محل منديس القديمة. وكانت أثنية أو مينرفه تعرف في بعض الأماكن باسم (سِيميا) - بشامون - بَسِيمَا. وبشامون تصغير شيمَا بالسرانية.

وشُلُوقِيَة: مزرعة خربة فوق (شمسطار) لعلها كانت مصيفاً لسلوقوس نيقابطور (الظافر) أو نيكاتور الغالب الذي بنى مدينة سلوقية قرب إنطاكية على البحر الرومي وتسمى

اليوم السويدية وبنى (سلوقية) أيضاً على ضفة دجلة في العراق اليمنى أو الغربية. ولا يخفى أن قواد الاسكندر المكدوني^(١) المعروفون باسم الدولة السلوقية^(٢) توطنوا البقاع وحاربوا فيه المصريين مراراً. وفيها تل يسمّى (قبع سلوقية) يشرف على أجمل المناظر ولعله كان قصر سلوقوس وفيه آثار قديمة وقربها هوة شمسطار فيها مياه تحت الأرض يقال إنها تظهر في حوشبية.

ونيحاً: سريانية بمعنى المستريحة أو الهادي أو الشامخ ومنها قرية يانوح في لبنان بمعنى راحة. ولعل من هنا سهل (نوح) أي سهل الراحة، لأن الشمس هنا استراحت وتنيحت حسب الميثولوجيا، فسمّي كرك نوح به لا من نوح العلكم الشهير بعد الطوفان.

تمنّين: قربها لعلها عبرانية من (ثمنة) بمعنى القسم المعين. أو تحريف من (تبنى) بمعنى (نيابة يهوه) اسم رجل وسمي بالاثنتين قرى في فلسطين (ثمنة) و(تبنى) و(تبنين). والرمثانية: بلدة خربة فوق زحلة تشرف على البقاع وهي منه، ولعلها تحريف الإله (أدميئوس) المعبود اليوناني الذي ظهرت له كتابة نذرية في بيت مري من لبنان.

وعيتيّت: مركبة من (عينت) الآشورية اسم آلهة هي سميرام، و(تانييت) بمعنى الإلهة الزهرة الفينيقية فتكون من العبادات المركبة. أو أن تنيت الآشورية وسميرام معبودة عسقلان

(١) من أشهر القادة العسكريين الذين عرفهم التاريخ. ولد في مدينة بيللا قرابة سنة ٣٥٦ ق. م وخلف والده فيليب الثاني على عرش بلاد اليونان عام ٣٣٦ ق. م بعد اغتياله، وخاض معارك كبرى ضد الفرس ضمن سعيه للوصول إلى «نهاية العالم والبحر الخارجي الكبير»، وغزا الهند وفتح مصر وبلاد الشام وتوفي عام ٣٢٣ ق. م. ومكان قبره غير معروف إلى الآن. وأهمية حروب الاسكندر أنها مزجت الثقافات اليونانية والشرقية بتلاوينها، ما أنتج الثقافة الهلينية أو الهلنستية (المحقق).

(٢) تعود تسمية الدولة السلوقية إلى سلوقس الأول نيكاتور أحد قادة جيش الاسكندر. وقد نشأت هذه الدولة بعد وفاة الأخير وامتدت من سوريا وتراقيا غرباً حتى حدود الهند شرقاً، ما يعني أن معظم أجزاء امبراطورية الاسكندر باتت تحت حكم سلوقس، وكانت عاصمة البلاد سلوقية ثم انطاكية، لكنه تعرض للاغتيال في العام ٢٨١ ق. م. وقد أنهى القائد الروماني بومبي الحكم السلوقي عام ٦٤ ق. م (المحقق).

Green, Peter, Alexander the Great and Hellenistic Age. Harvard. U. press 2007. pp. 5-6 - 139.

فغنت وتنيت وأرطميس ودينا واحدة. وفي لبنان اليوم خربة قرية باسم (كفرتانيت). و(عقتيت) جنوبي شرقي صيداء. وكان لأيل ابتتان (عنت) أو (بروسرين) و(تنيت) أو أتيئا عبدها اليونان في أتيئا وقورنت أو مينرفا ويسمونها أيلوتي أي ابنة (أيل).

وعيناتا: تحريف ربة (عنات) أو (إناتس) معبودة الآراميين. اسم (عنتات) آلهة الحرب عند المصريين ومنها اسم (عيتات) في شوف لبنان: و(عنات أو أناتس) ربة السوريين عموماً سامية.

عرجموش أو (عرجموش): لعلها من (كركميس) مركبة من (كمش) الإله الحثي و(كرك) بمعنى حصن في السريانية، فالمعنى حصن للإله كميث، و(كركميش) في الفرات على بعد ست ساعات عن بيرة جيك، وهي أهم مدن الحثيين قديماً ومعناها (مدينة الإله كميث). و(كجموش) إله مؤاب. فأدخل الآشوريون هذا المعبود في جملة معبوداتهم كما أفادتنا آثارهم المكتشفة الآن. وعرجموش إلى شمالي (الفيضة) والفيضة نحو خمس مائة فدان أرض سباح تُضمّن للخليل. وتحت عرجموش إلى الشمال (ملعبة البنات) وهناك (مبرك الجمل) ولعله من قصص بني هلال، وبسطة عرجموش أكبر من الفيضة وفيها خرائب [من] الحجارة الضخمة، يسقيها نهر البردوني وهي تحت الفيضة. (وبئر التنور) في أرض عرجموش والبركة لجهة الجنوب بئر فيه ماء دائم وهو قديم وهو فوق الليطاني عند بستان عبد الله مسلّم في شعب (شريك) ويوصل إلى (برالياس).

شتورة: ربما كانت تحريف (عشتورة) وهي عشتروت بمعنى الزهرة، ومن أسمائها (دار بعشتار) في كورة لبنان قرب طرابلس.

وقال لي صديقي مكريدي بك اليوناني من آسية الصغرى إنها تحريف (شتافورا) بمعنى مُصلّب، لأنها قارعة طرق. وتوجد قرى كثيرة في آسية الصغرى باسم شتورة فتكون يونانية.

بشتودار: في بلاد بعلبك و(بعشترة) أي بيت عشتاريت في باشان وتسمى عشتروت. أبلح: ربما كانت تحريف آبل نوح أي مرج نوح لقربها من الكرك حيث مدفن نوح المشهور. و(أبلح) ربما كانت تحريف (حبله) ابنة نوح التي ذكر بعض مؤرخي العرب قبرها

و(أبلح) ربما مركبة من آبل بمعنى مرج والحاء بقية كلمة نجهلها أو من حبله. وربما كانت من أبلح النخل إذا صار ما عليه بلحاً. وفيها عين الدرة (الثدي) فيها تمثال امرأة مهشم الرأس بارز الثديين نرجح أنه تمثال عشتروت أو الزهرة فتغسل المرأة الجافة الحليب الثديي الثديي التمثال وتغسل بمائها ثدياها وتبخر التمثال فيدر حليها. وإلى الشرق الشمالي منها عين كفرسنة فتكون من شعار الفينيقيين المنخل.

ومندرة: يونانية بمعنى حظيرة الغنم.

و وادي فعرة: لعلها من بعل (فغور) أي الفجور. ويلفظها العبرانيون (بعور) وهو معبود مؤابي قيل إنه زحل أو الشمس أو أورانوس أي سماء أو أدونيس. وموقعها في الجبل الغربي مقابل العين ما بين جبولة والهرمل. ولعل نهر الفاعور في البقاع نهر الفغور.

وعميق: عبرانية بمعنى وادي^(١). وفي فلسطين أماكن كثيرة بهذا الاسم. ويسمى العرب

البقاع باسم بحيرة عميق. راجع بقاع، ياقوت ٢: ٢٥٠.

والبقاع: عبراني بمعنى السهل. أو هو عربي جمع بقعة بمعنى الأرض المنبسطة. وقيل سريانية بمعنى السهول. وقال البطريق مكاريوس ابن الزعيم في كتابه (النحلة) إن اسم البقاع بالرومي (صانيور) (أ. هـ). ولعل كلمة صانيور تحريف (سانوروس) من (سانو) أي حرّك و(أورا) ذنب، فالمعنى المجازي محرّك الذنب أو بصيص وهو كناية عن (الكلب). وسمّي البقاع بقاع كلب لأن بني كلب من قبائل العرب نزلته. ولعل كلمة (سنير) تحريف هذه، ولقد شاعت بين كتبة العرب بهذا الاسم. وسينودس يونانية بمعنى متاخم على الحدود.

وكفردبش: ديبوس اليونانية بمعنى ذو رجلين، قرية تابعة بعلبك اليوم مركبة من (كفر) بمعنى قرية ومن (دبش) بمعنى الدبس بالسريانية (وبالعبرانية). وهي مشهورة بجودة كرومها ولذة عنبها. وتوجد مدينة لبني زبولون باسم (دباشة) أي بلاد بعلبك، سنام الجمل وموقع كفردبش على مرتفع فيدعونها عليّة الأرض فهي أشبه بالمسنم وفيها قبر مسنم قديم على تلها إلى يومنا هذا.

وبستي: قرية خربة قرب الفرزل وفيها آثار قديمة. ولعلها تحريف (باست) المصرية وهي أرطاميس عندهم وآلهة النار كانوا يصوّرونها برأس عجل ورأس أسد. وفي مصر مدينة (في باست) أي بيت باست. و(فيسته) في بحرية مصر لهذه الإلهة. وفيها هيكل من الأعبل (الكرانيت) الأحمر وصفه هيرودوتوس وتعرف أطلالها اليوم باسم (تل بست). وبست منتحل من سخت هذه تدل على حرارة الشمس المهلكة وبست على الحرارة النافعة، والأرجح أن بستي تحريف (فستا) اليونانية ربة النار ومحامية العيال، وكثرت هياكلها عندهم. وكانت تُضرم فيها النار الدائمة العذارى الفستاليات المخصصات لها ويهددن بالقصاصات الصارمة إذا أطفأن النار. وتتجدد النار كل سنة في أواسط شهر آذار، فتؤخذ عن حرارة الشمس بواسطة المرأة المجوفة.

وقمّل: يونانية بمعنى قرية صغيرة أي قرية وموقعها فوق زحلة (كوميليون) قرية صغيرة أو كوموبوليس يونانية بمعنى مدينة صغيرة.

وحزرتة: سريانية بمعنى التل والرمل والوجه (حزرتو).

وقعفرين: كلمة سريانية بمعنى مورد الماء وهي أولى من قولهم (قاع الريم) أي قاع الغزال أو (قعفرينو) محل مشرف (شرفة) بالسريانية.

(قعفرين) وجد ضمن مغارة في جهات جنين إلى قعفرين ملك جالس على كرسي وأمامه عبد وهو تمثال حجري وعليه كتابة يونانية أو رومانية. وظهرت هناك قدر فيها نقود. حمارة^(٢): سريانية بمعنى الخمر (مخمرة) وإما لاحمرار أرضها أو لأن اسبيريدونس

(١) باست أو باستيت هي آلهة مصرية مجسدة على شكل قطة ويقال لبوة أيضاً، ومكان عبادتها في بوباستس حيث عُثر على ناووس لتحنيط القطة. وقد خصصت لها مدن مقدسة. وكانت القطط تقدّس في بيوت المصريين القدماء. وكان موت قطة في منزل أحدهم مناسبة بالغة الحزن، ويحلق سكان البيت أجفانهم حزناً عليها. ولا يزال إلى اليوم يطلق على القطة اسم بسة بالعامية، ليس في مصر وحدها، بل في بلاد الشام أيضاً. راجع: آرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ص ٣٢ (المحقق).

(٢) جرى تغيير اسمها إلى المنارة بعد طلب الأهالي ذلك في مطلع الستينيات، ويروي أحد أبنائها أنه التقى صدفة المؤرخ المعلوف وبرفته الشاعر سعيد عقل في وسط بيروت قبيل منتصف الخمسينيات وكان الأهالي بدأوا مطالبهم بتغيير الاسم فنهره المعلوف وهجم عليه بعكازه قائلاً: تستبدلون تاريخكم باسم لا وجود له في المصادر (المحقق).

العجائبي الذي كان يقطع رؤوس الحمير، له دير على تل فيها فنسبت إليه. كانت قبلاً نصفها نصارى والنصف مسلمون قديماً. وكان فيها سبع^(١) جوامع وكنائس واليوم ليس فيها مسيحيون بل مسلمون. والنصارى انقرضوا بالحادثة الأولى^(٢). وأواني كنائس حمارة هي الآن في كنيسة القرعون على بعد خمس ساعات إلى الجنوب الغربي.

وفي وادي حمارة برج يسمّى القصر فيه أعمدة وقناطر يقال إنه يوناني الأصل وفيه كتابات يونانية.

عَطِيب: في البقاع لعلها نسبة إلى بني عَتِيب قبيلة من بني شيبان. ولعلها منحوتة من (عين) و(القرن) قرية في لبنان الشرقي ملكها تحوتمس الثالث نحو سنة ١٦٢٥ ق. م.

بُسْت: (بُسْت) بلد بنواحي نيسابور والكلمة فارسية بمعنى الظهر وهي كالظهر لنيسابور. و(بُسْت) بالفتح والسين المهملة وإِدْ بأرض إزبل من ناحية أذربيجان في الجبال. و(بُسْت) بالضم مدينة بين سجستان وغزني وهرات. (بِيسْتي) من قرى الري.

حَرْبَتَا: (حَرْفَش) لعلها من (الحَرْبَت) وهو نبت من أطيب المراتع. يقال أطيب اللبن ما رعى الحربت والسعدان. و(الحَرْبَت) فلاة بين اليمن وعمان. وفي حربتا أطيب اللبن والدَّر (راجع ابن البيطار في المفردات الطبية)^(٣). وفي مصر بلدة اسمها (حَرْبَتَا) فلعلها محرفة عنها وقد سماها المصريون أيام ملوك البلاد.

حوش حَرِيمة: حريم البئر ونحوها ما حولها من حقوقها ومرافقها. و(حريم دار الخلافة ببغداد) محلة [في بغداد].

حوشبيه: لعلها من كلمة (حَوْشَب) وهي من مخاليف اليمن، أو أنها مثل اسم (حُشْبُون) عاصمة سيحون ملكة الأموريين وتسمّى الآن حمسيان.

خربة رُوْحَا في البقاع: رُوْحَا قرية في الرحبة ذكرها ياقوت^(٤). ورُوْحَة من قرى القيروان.

(١) سبعة.

(٢) يقصد المؤلف عندما يتحدث عن الحادثة الأولى الإشارة إلى حوادث أو فتنه العام ١٨٤٠، أما الحادثة الثانية فهي فتنه العام ١٨٦٠ (المحقق).

(٣) ١٩:٢ (المحقق).

(٤) ياقوت الحموي ٣: ٧٧ و٧٦.

تل زَبْدَى: قرية من قرى الجزيرة - بازْبَدَى: كورة قرب باقِرْدَى من ناحية جزيرة ابن عمر.

زباد: موضع بالمغرب.

كفرزبد: قرية في البقاع: زَبْد هما جبلان باليمن، وقيل قرية بقنسرين لبني أسد و(زُبْدَة) مدينة بالروم فتحها أبو عبيدة ابن^(١) الجراح - وزْبِيدان وزْبِيد وزْبِيدَة مواضع - وإزْبِيد من قرى دمشق بينها وبين أذرعات ١٣ ميلاً.

آبل السوق (ياقوت ١: ٥٨). أرض نوح من قرى البحرين.

بَاعَيْنَاثا: قرية كبيرة كالمدينة فوق جزيرة ابن عمر لها نهر كبير يصب في دجلة. وفيها بساتين كثيرة وهي من أنزه المواضع تشبه بدمشق... ذكرها أبو تمام بقوله^(٢):

لولا اعتمادك كنت ذا مندوحة عن برقعيد وأرض باعيناثا

برْثَة: موضع بنواحي الكوفة له ذكر في الأخبار.

برجه: موضع بنواحي الكوفة له ذكر في الأخبار

وبقعاتا وبقعوتتا وبقعون: أي بيت قعوتا بمعنى بيت البكاء.

(١) بن. وأبو عبيدة بن الجراح اسمه عبد الله بن كنانة بن خزيمة. أسلم أوائل ظهور الإسلام وشهد مع الرسول المشاهد كلها وقد وصفه بأنه «أمين الأمة». تولى قيادة الجيوش الإسلامية في الشام بعد قيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعزل خالد بن الوليد. ولد قرابة عام ٤٠ ق. الإسلام، وتوفي عام ١٧ أو ١٨ هجرية ٥٨٤ م / ٦٣٨ أو ٦٣٩ م جرّاء طاعون عمواس. ابن الأثير، أسد الغابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ج ٣، ص ١٢٥ ولدى العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، عن الدار نفسها، ج ٣، ص ٤٧٥ وغيرهما (المحقق).

(٢) أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ولد في مدينة جاسم في حوران ١٨٨ هـ. / ٧٨٨ م. وتوفي في عام ٢١٣ هـ. / ٨٤٥ م. في الموصل ودُفِن فيها. والبيت من قصيدة طويلة مطلعها:

قفا بالطلول الدارسات علاثا أمست حياي قطينهن رثا

وكلمة مندوحة الواردة في البيت تحتمل معنى الأرض الواسعة البعيدة، فيما هي في العربية المعاصرة تستعمل مسبقة بلا بمعنى لا خيار أو مفر أو لا مجال لك. (راجع: ديوانه، ص ٥٢، ومعنى الكلمة في تاج العروس، ولسان العرب، ومختار الصحاح). (المحقق).

القيّاعة: محل قبور في جديتا. والقيّاعة (بين الزيتون والبرامية) قرب صيدا.
أشمون عازار: المقبرة أو محل الصراخ.
قدموس: يونانية أول ملوكهم.
بتغرين: بيت ما بين الثنايا أي الجبلين (سر).
تغرين: من تغريس (يونانية) بمعنى النمر.
سغبين ومشغرة: نوح الناس وسر الحميات.

وعلى بعد من عميق قريتي ^(١) سغبين ومشغرة وغزة ^(٢) والسلطان يعقوب ^(٣) وفي السهل مندرة والاصطبل ثم بر الياس فعين الجرّ وهي خلّكيس القديمة ومعناها باليونانية النحاس، مما يدل على أنه كان قربها منجم للنحاس ^(٤). وكانت عاصمة الأيطوريين أي الجبليين الذين نشأوا من سلالة أيطور بن اسمعيل بن إبراهيم في لجاء حوران واتصلوا بلبنان وساحل فينيقية وتسلطوا على جنوبي دمشق وشرقها، واشتهر منهم زعيمهم بطليموس بن مانيوس المثيري الشهير، الذي تولى لبنان الشمالي والبقاع وبعلبك وخلّكيس أو كلشيس هذه. وقد حاربوا الرومانيين واستظهروا عليهم. وقد [ذاع] صيتهم واعتصموا بالجبال وأنشأوا في لبنان دولة لهم عاصمتها - طرابلس الشام. ثم خضد الرومان شوكتهم وفتكوا بهم. والمرجح أن هذه القبيلة قد بادت أو امتزجت بالشعوب اللبنانية وخفي أمرها. وإلى خلّكيس هذه ينسب الفيلسوف بمبلخيس شارح أفلاطون والزعيم لنجينوس الكلشيسي الذي شيّد هيكل قرية ماسّة لزحل. وهي على يمين الراكب في قطار دمشق بعد أن يجتاز ريّاق قليلاً على رابية

(١) كما في الأصل قريتي، والصواب قرى بالجمع (المحقّق).

(٢) توجد قرى كثيرة تسمّى غزة منها غزة هاشم في فلسطين وصفها ابن بطوطة بأنها أول بلاد الشام مما يلي مصر وأنها عامرة غير مسوّرة. أنظر: معجم بلدان فلسطين لمحمد شرّاب، ص ٥٦٧-٥٧١ (المحقّق).

(٣) يظهر أن هذه القرية هي التي زارها ابن بطوطة (الرحالة) (٣٥:١) وفيها قبر أبي يعقوب يوسف أحد ملوك المغرب فلذلك سميت (السلطان يعقوب) وقد أوردت قصة مطولة وملحقها أنه تنسك وسكن البقاع وكان يقتات من نسج الحصر (المؤلف).

(٤) راجع (تسريح الأبصار) للأب هنري لامنس اليسوعي (٢٢٣:٢) عيتنيت تسريح (٢٤١:٢٢).

عالية وقد تحول هذا الهيكل إلى كنيسة. وكانت خلّكيس بزمان الصليبيين تسمّى عين الجرّ فدعوها (أمجرّا). وكان بومبي القائد الروماني قد دمرها فعمرت بعده وأحرقها الصليبيون بزمان بلدوين الرابع الذي زحف عليها من صيدا فخيم في مشغرة ثم هاجمها فخربت وأطلالها اليوم على بعد ربع ساعة من محطة المصنع المنسوب إلى مجدل عنجر ^(١) على طريق العربات بين بيروت ودمشق. ومن هناك يتدّى وادي الحرير ووادي القرن المشهور بأنه مكنم اللصوص في القديم، ولربما كان الأيطوريون يقطعون فيه الطريق على المارة من بيروت ولبنان إلى دمشق منذ القديم. وفي عين الجرّ (عنجر) بركة ماء دورية تُفيض مياهها أياماً ثم تغيض. وهناك آثار أقنية قديمة تنسب إلى زينب. ومنها يجري نهر الغزير فيصبّ في الليطاني، وفيها أنقاض سور سمكه نحو ثلاث ^(٢) أزرع ومن آخر المواقع التي حدثت في عنجر معركة بين الأمير فخر الدين المعني والأمير موسى الحرفوشي فظفر المعني بالحرفوشي وذلك سنة ١٦٢٣ م.

(بلاد حاصبيا) ووادي التيم وراشيا:

من رحلة سميث Smith ص ٣٧٨:٣ معربة.

نبع الأردن الأبعد هو النبع الحاصباني - وتندفق ينابيع كثيرة في فصل الشتاء من وادي التيم ومن سفوح جبل الشيخ (حرمون).
(خلوات البياضة): وآثار النفط من البترول فوق حاصبيا الجنوب فتوج بخلوات الدروز المسماة البياضة.

في (عيحا) حفيرة فيها هيكل قديم هو الآن أطلال وحجارته بني ببعضها والآخر مطمور. ومنها إلى (كفرقوق) على تلتين على بعد ساعة من (عيحا).

وفي (كفرقوق) أعمدة وآثار كثيرة وكتابات يونانية على مصاريع الأبواب نسخها (مستر

(١) المجدل كلمة كنعانية معناها قلعة. وقد وردت أسماء لكثير من القرى مثل مجدل العاقورة ومجدل بعنا ومجدل المعوش في لبنان ومجدل بلهيص ومجدل شمس ومجدل عنجر هذه في سورية وغيرها. ومن فروع هذه الكلمة مجدليا ومجيدل ومجدلون ونحوها. تانيت آلهة فينيقية سميت (عيتنيت) هذه وتوجد قرية عقتنيت قرب صيدا (تسريح الأبصار) (٢٤١:٢) (المؤلف).
(٢) ثلاثة.

طمسون) - من (كفرقوق) طريقان إلى (دمشق) بطريق (الديماس) أحدهما يقطع الجبل إلى جهة الشمال الشرقي ويتحد بطريق بواسطة (بكّا) و(ينطا). والآخر يتجه أكثر إلى الجنوب ويتصل (بدير العشائر) إلى الديماس وهناك في السهل آثار طريق^(١).

ينطا: قريها آثار قديمة وهيكل خرب أشبه بعلبك يسمى الآن (مرسه) أي المريخ ولعله كان هيكلًا لإله الحرب هذا.

دير العشائر: في السهل بركة أو مستنقع كان لتصرف مياهه من كعب الجبل في جهات سعسع إلى الشرق الجنوبي من الدير.

الصعلوك^(٢): في تل الحيات قرب الصعلوك قبلها لجهة زحلة توجد آبار وآثار، وتحت الصعلوك نبع المضيق وهناك قلعة المضيق لم يبق غير أطلالها يقال إن عمرو بن العاص فتحها. وهي باسم (أفامية) المعروفة بقلعة المضيق قرب حماة.

قلعة حاصبيا: على هذه القلعة (زهرة الزنبق) وهي رمز فرنسة وشعارها. والأصطل: يونانية بمعنى مربط الخيل، وهي في البقاع ولها سمية في إقليم التفاح بجزيين. وقد تناول العرب عن اليونان هذه الكلمة وغلبت عندهم فصارت متعربة. (إِسْطَفْلُوس يونانيتها) أو (سكاولوس).

الاصطل^(٣): ذكر النجم الغزي في كواكب في ترجمة عمر بن سلطان الحنفي الصالحي

(١) هناك بعض الكلمات غير الواضحة في الفقرة السابقة، كما يوجد سطر غير واضح لدى الحديث عن كفرقوق (المحقق).

(٢) يوجد مكان باسم حوش الصعلوك لم يذكره المؤلف، يقع إلى الجنوب الغربي من قب الياس وشماله عميق في البقاع على سفح جبل الباروك الشرقي، وهو عبارة عن مزرعة صغيرة يسكنها رعاة يربون فيها الجواميس إلى الآن. أما قلعة المضيق فتقع على تل مرتفع في الجهة الشرقية من سهل الغاب وتتبع محافظة حماة. وأهمية القلعة أنها مقامة على هضبة تحيط بها سهول منخفضة من جهاتها الأربع، وعليه فإنها تسيطر على كل من سهل الغاب ووادي الدورة وخان شيخون وطار العلا وسفوح هضبة السقيلية، والقلعة قديمة، الأرجح أنها تعود إلى ما قبل العهد السلوقي. وحملت القلعة والبلدة أسماء عدة في تاريخها منها: نيا، بارنكا، بيلا، أفاميا، أو حصن أفاميا. راجع الموقع الإلكتروني لوزارة السياحة السورية والمواقع الإلكترونية المحلية (المحقق).

(٣) ظلت قرية الاصطل محافظة هي الأخرى على اسمها حتى أواسط الستينيات عندما طالب الأهالي وزارة الداخلية اللبنانية بتغييره فوافقت على طلبهم، ومنذ ذلك التاريخ أسميت الروضة (المحقق).

الفقيه ويلقب بجمل، وبجمل المحمل تكبر قبته، المتوفي سنة ٩٩٧ هـ / ١٥٨٨ م. ما نصه: «وكان يستأجر قرية الاصطل بالبقاع لقربها من وقف الجوهرية (مدرسة في دمشق كان مديرها) هناك، وسافر إلى البقاع مدة لأجل الاستغلال، فكان إذا ذكر حساد معاصريه (ويقال ابن الجمل، يقال فيه الاصطل حسداً وغيبة) وهو كان سالماً من مثل ذلك. وكان ينتفع المترددون بكتبه مطالعة عنده وعارية^(١) واستكتب عدة كتب ووقف كتبه آخرًا وحج في أواخر عمره. وصحب من مكة كتباً نفيسة وكان تُبْرَى له الأقلام ولا يحسن بريها، وكان ينكب على المطالعة ليلاً ونهاراً ما لم يكن عنده وارد».

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في (حلة الذهب الأبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز) وهي رحلته المخطوطة في خزانة مؤلف هذا التاريخ عيسى اسكندر المعلوف الصفحة ٥٦ ما نصه:

(فلما أصبحنا يوم الجمعة وهو اليوم الحادي عشر^(٢) صلينا الصبح وتوجهنا إلى زيارة نبي الله العزيز عليه السلام، والنبي زعور تسميه أهل تلك القرى من العوام، فدخلنا إلى حضرته بالاعزاز والاكرام، ودعونا الله تعالى بأنواع الدعاء^(٣) للخاص والعام)، وقلنا في ذلك من النظام:

قد أتينا نزور قبر العزيز وحظينا بكل لطف وخير
ومشينا مع الصباح إليه ورأينا الهنا بذاك المسير
ومن الله ربنا نترجى أن علينا يهون كل عسير
ودعوناه وهو خير مجيب يا غنياً يجيب كل فقير
وعلى السيد العزيز نبي الله أوفى صلاة رب كبير
مع سلام يذوق طيب شذاً فتزيد البلاد في التعطير
أمد الدهر ما أضاءت بروق ذرها الروض بالسحاب المطير

(١) أي إعارة، في زمن لم تكن تتوافر فيه الكتب للعامة (المحقق).

(٢) البياض من صنع المؤلف.

(٣) الدعاء.

والدَّلهمية: إمانسبة إلى الدلهم وهو ذكر القطا لكثرتة حولها وهي على تل. أو إلى الدَّيلم وهم جيل من العجم كانوا في أصلهم صنف من الأكراذ نزلوها في أحد الأزمنة فحرّفت إلى (الدلهمية). والدَّيلم النمل شبّه به القوم لكثرتهم. والدلهمية قرية في إقليم الخروب.

وعَنْجَر: وهي خلْكيس، وَخَنْكُسُ النحاس وَخَلْكِيافُسُ النحاس أو كلشيس القديمة لعلها عبرانية بمعنى (الغريب) لأن (جِرْلَاو) غير بالعبرانية عون الغريب. وقول بعضهم إنها (عين الجرّ) ينبوع المجرور المياه إلى محل آخر فلا نرى له وجهاً لغوياً. وكذلك الجر أسفل الجبل وكل ما خلف في أسفل جبل فهو جرّ والأول أولى.

وخلْكيس: Chalcis عاصمة أوبية تدعى الآن (أغريبو) ومدينة في أيتوليا تدعى الآن غَلْطَة ذكرهما أوميروس في إلياذته. وخلْكيس فيها حمامات معدنية قرب أثينة. ولعلها من (عميق) و(كارا) بمعنى الحصن العميق وسماها الصليبيون (أميكارا).

والزَّيْزَة أو الجَزْزِيَّة: لعلها تحريف (أزيروس) وهو معبود مصري قديم. أو الأولى تحريف الثانية.

الديماس: من (دوموس) اليونانية بمعنى غرفة أو قبة أو قبو. (بدي علمك من سرق الناس من الديماس) مثل عامي.

ووادي بَكَّة أو وادي البكاء: ولعل كلمة بَكَّة تحريف مَكَّة الآشورية بمعنى بيت. أو من (بَكَّا) الدالة على قلة المياه أو لنبات فيه اسمه بالعبرانية (بَكَّا).

ولوسة: نسبة إلى (لوسيان) أو (لوسيبوس) أو لوكيانوس وهو نهر أبي النور، قديس استشهد يُعبد له في ٢٤ كانون الأول و٢٢ تموز، أو إلى بوستوس فاروس الملك.

وخربة قنّافار: لعلها سريانية من كلمة (قنا) بمعنى قناة و(نيرو) أي (قنا النمرة) أو يونانية (أنو فاروس) أي المنارة العالية. ومثلها قرية (فاريا) في جرود كسروان بمعنى المثمرة (من السريانية)، ورد ذكرها في ابن خلكان (بيت قار) وهو تصحيف ذكرها أنها مولد عدي بن مسافر الشهير، وفار من مدن مصر، ولعل كلمة (فار) بقية (فاريديس)^(١) الحورية، آلهة يونانية تولت تدبير البحر. ومثلها دوريس أمها. أو نسبة إلى (فاروس) والي سورية الروماني في

(١) لعل الفريديس من هنا.

أواخر القرن الأول ق. م. وله كتابة في الأبنية واسمه كونشيوس فاروس الملك. ولعل لوسا من لوشوس.

وكتب الدكتور حليم نعيم من الخبرة هذه في جريدة السائح بنيويورك (لمحة من تاريخ الشيخ عدي بن مسافر) [وقد وردني ذلك]^(١) من الشّمس ديمتريوس حاطوم من الخبرة في ١ حزيران ١٩٢٩ العدد ٤ ما ملخصه: (خربة قنّافار) هي بلدة قديمة ودعيت خربة قنّافار لأنها تخربت ثلاث مرات يوم حرب الصليبيين. وقد أحرقت بثورة ١٨٤٠ و ١٨٦٠ م. ومعنى (بيت فار) باللاتينية (وادي الزهور) موقعها شرقي جبل لبنان، مبنية كحلقة متسلسلة مستديرة في غرب البقاع تُحْدَق بها الصخور الشامخة كأَسنان المنشار، فيها ينابيع عديدة أهمها نبع الخريزات الجميل وفيه لوكندة كرم. والبلدة مشهورة بجودة مناخها وعذوبة مائها فيعمر سكانها وهم سليمو الأجسام. وهي زراعية، قليلة الصناعة والتجارة ذات بساتين غنّاء فيها الفواكه اللذيذة ويكثر فيها التوت لدود الحرير. وبقولها وخضراواتها كثيرة. سكانها الآن أكثر من ألف وخمسمائة نسمة، والمهاجرون ضعفا عددها الحالي.

من آثار[ها] سندية عظمة قائمة على أربعة جذوع محيط قطرها ١٢ متراً متدلية الأغصان وهي على هضبة قبالة البلدة. وقربها مزار الشيخ مسافر القديم العهد وعمرها أكثر من سبعمائة سنة، رمز الثبات والإيمان. وفي أكثر المزارات شبيه لها (وكذلك قرب المعابد) تظلل نحو ثلاثماية رجل. ويجتمع تحتها المسلمون في بعض السنين لاتمام التقاليد الدينية القديمة مثل خميس الدعسة وما شاكل كضرب المدى في وجوههم وأعناقهم وإدخال السفافيد في جلودهم وسباقات الخيل. مساحة هذه الهضبة نحو ٣ دونمات. وفيها بعض المدافن القديمة يستعملها الدروز اليوم لموتاهم. وهي تطل على سهل البقاع الفسيح وتشرف على نحو ١٥ بلداً منه ومقابلها الليطاني يرغي ويزيد، يقصدها اليوم المصطافون وزارها الشاعر عبد الرحيم قليلات سنة ١٩٢٥ فتغنّى بنبع الخريزات قائلاً:

لك الله يا نبع الخريزات من نبع سبي بصري من لطفه وسبي سمعي

(١) زيادة من المحقق ليستقيم المعنى هنا وكذلك في مدخل الفقرة التالية.

سرور وأنس في حماك وبهجة وروض زها بالزهر والغرس والزرع
وطاحونة دارت... (١) تعالى به مجراك من قوة الدفع
وفندق فضل زان سامي رحابه نجيب يحلّي جوده كرم الطبع
جمعت صفات الحسن يا خير مربع حكى جنة الفردوس في ذلك الجمع
فلا غرو أن وافاك ذو الهم والعنا فقد حزت أسباب المسرات والنفع
وحق لنسبع أودع الله لطفه به أن يسميه علا زينة الربع

ومن آثارها ١٦ مغارة محفورة في الصخر ومقطعة، أي نواميس وخشاخيش تستعمل اليوم مدافن للموتى. ووجد مكتشفات خزفية قديمة العهد ومغارة ذات مدخلين في وسطها عمود صلد وفوق بابها رجل وامرأة (فوق باب المغارة) مغارة. وربما كانت معبداً، وتلك الرسوم رمز آلهة. ولهذه المغارة دار خارجية وسور بسيط مما يدل أنها كانت إما للسكن أو للعبادة. وسنة ١٩٠٢ زارها البطريك بطرس الجريجيري وسمّاها (العامرة) وسعى لإبدال اسمها القديم بهذا.

والحدّث: قال الدبس في تاريخ سوريا (٢: ٣١٧): (هدد) معبود السوريين وحقق مكروب (ك راس ١٢٣) أنه كان يراد به الشمس وأن تأويل هدد الواحد أو الوحيد، وعليه فأصله (حد) أو (حدحد) مكررة فإن (حد) في السريانية الآرامية معناها الواحد أو الأوحد... وقال آخر إن (هدد) علم لملوك آرام. وركبت به أسماء فليل هدد حا وهددسوباك. والحدث إما عربية من معنى الحديث ضد القديم بمعنى (المجدّدة) ومنها اسم (المحيّثة) أو إنها تحريف الإله (هَدَد) أو (أَدَد) الآشوري والآرامي كانوا يضيفون إليه أسماءهم تبركاً مثل هدد وعازار. وكانت مملكة الآراميين في دمشق تسمّى مملكة (أدد) والملوك يكنى عنهم بابن تورو ومعناه الوحيد ولفظه (حَدْحَد). وكثيراً ما تقول العامة (حَدَد) فتدلّ بلفظها على

(١) ثلاث كلمات غير مقروءة في الأصل، وفي نص الدكتور حليم نعيم بعض الأخطاء اللغوية. للاطلاع على رسائل إضافية للدكتور نعيم نفسه حول البرازيل التي هاجر إليها وراسل خلالها صديقه المعلم فؤاد نجيب حتّا من المنصورة في البقاع الغربي، راجع: زهير هوارى، تاريخ من لا تاريخ لهم، دار ضفاف، بيروت، ٢٠١٣، ص ٤١٥ - ٤٢٣ (المحقّق).

هذا الرأي. وفي (حدث بعلبك) بناء على شرفة يدل على هيكل لعله لهذا الإله. وعلى تلتين متقابلتين النبي ضايح إلى الغرب ومار يوحنا إلى الشرق. وفي محلة المعميرة نواويس على أجنحة طيور كبيرة وهناك حجارة تدل على محل قلعة الحدث التي سكنها الحرافشة. والنبي رشادة مزار للشيعة عنده بئر قديمة يستقون منها، وبئر أخرى تسمى بئر جب ستون جارية [إلى] اليوم).

جبعة: قرية بمعنى (تل) وهي عبرانية سميت بها أسماء قرى كثيرة في فلسطين^(١). وبينها وبين الحدث محلة (الغواثرة) ومغارة تسمّى مغارة خشخش. وهناك مغاور كبيرة. ويقال إن (الغوين) هي قرية الحدث القديمة التي حرق وأحدثت هذه بقربها فسميت الحدث.

مارع: قرب مشغرة قرية باب مارع من (ما) و(رع) وهما معبودان مصريّان و(رع) من أسماء الشمس ويقال فيه (راع) أيضاً وهو إله الضوء (وَرَع)^(٢) عنصر النار عندهم، ومنه اسم (أُمُون رع) أي الشمس المكنونة أو الخفية التي لا تدركها الأبصار عند غروبها. وهو ملك الإلهة ويعدّ في المرتبة بعد (بّيّا) الإله فتاح، ولقد شاعت عبادته في مصر ودخلت في عبادة أوزيريس^(٣) وغيره. و(ما) أخت (رَع) أي ربة العدل والحق فتكون (مارع) من (ما) و(رع). وفيتوم أو بيتوم بمعنى بيت الإله ثوم مركبة من بي أو في (بيت) وثوم اسم الإله ويراد به عندهم الشمس عند غروبها. وكفر راع قرية قرب حمص.

يُئوس: في لبنان الشرقي اسم جبل وقرية في سفحه باسم (كفريئوس) إما نسبة إلى

(١) أنظر: معجم بلدان فلسطين، مصدر سابق، ص. ٢٤٥-٢٤٧ (المحقّق).

(٢) رع أو ري إله الشمس لدى المصريين، وكانت مدينة هليوبوليس مركز عبادته. ويبدو أن بداية هذه العبادة حدثت على يد الفرعون جيفرين الأول في الألف الثالث قبل الميلاد عندما سمّى نفسه ابن الشمس أو ابن رع، لكن المرحلة اللاحقة، ولاسيما قبل عهد أخناتون وخلالها رفعت هذه الإلهة إلى مرتبة غير عادية عندما جعل الأخير قرص الشمس مصدر الحياة والوجود، راجع: قاموس أساطير العالم، ص. ٣٨ (المحقّق).

(٣) يعتبر الإله أوزيريس أبرز الآلهة المصرية باعتباره يمثل مظهر الحياة الدائمة، علماً أنه ملك الموتى، لكن موته يعقبه دوماً بعث متجدد. وعليه فقد ربطه علماء المصريين مع الفيضان السنوي لنهر النيل. لكنه يظهر في كتاب الموتى جالساً كأعلى ملك في الأبدية يحاكم كل فرد، فيما يتولى الإله أنوبيس برأس كراوس الثعلب تقديم الموتى إلى المحاكمة، المصدر السابق، ص. ١٤ (المحقّق).

اليبوسيين سكان تلك الجهة. ويبوس بمعنى بيدر أو موضع مدوس، وإما تحريف (إيبس) المعبود المصري.

سِرْغَايا: لعلها تحريف من سرجيوس أم سرجيا نسبة إليه أو تحريف سغريانا اسم دير اشتهر به القديس ثاوفانوس السغرياني من أهل القرنين الثامن والتاسع للميلاد في جهات الآستانة. أو من السِرْغ وهو قضيب الكرم الرطب، إشارة إلى جودة عنبها (أيا) سريانية للجمع. وهو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حجاج الشام. وقيل قرية بوادي تبوك.

وَبُودِي أو بُوْدِيَّة: لعلها تحريف (بُوْدَه) عند الوثنيين. أو منسوبة إلى (بُوْدِيس) الشخص المثلولوجي اليوناني و(Boudie) مدينة يونانية. ومما يدل على شيوع عبادة الصينيين عندنا محمولة مع الأعاجم أو الشيعيين (المتاوله) أو تحريف (بيت لودة) بلوده ثم بوده أو نسبة إلى بودوين الأول والثاني الصليبي (بغدوين). تبعد بوديه ثلاثة كيلومترات عن كتف البير من أعمال حمص من قرى العلويين (النصيرية) وزعيمهم الشيخ صالح الذي حارب فرنسة في أواخر كانون الثاني ١٩٢١.

إن في (المنيطرة) اسم قرية (لَاَصًا) وهي عاصمة تَبَّت (تبيت) في الصين بمعنى (أرض الآلهة) فلعل الشيعيين سكانها جاؤوا بهذا الاسم معهم.

مَجْدَلُون: المجدل لفظة كنعانية قديمة بمعنى قلعة، ونرجح أن مجدل بمعنى قصر وحصن (والواو والنون) للتصغير بالسريانية فتكون (مُجْدِل) أي قُصير وحصين. وتضاف إلى كثير من القرى مثل (مجدل شمس) و(مجدل بعنا) ومجدل بلهيص ومجدل عنجر ومجدل ترشيش. ولعل كلمة مجدلون مركبة من مجدل أون أي مجدل شمس، أو أن لفظة أون في آخرها علامة التصغير السريانية فالمعنى (قصر صغير) أو مُجْدِل ومن مشتقاتها: مجيدل ومجدليًا ومجدلون. ومجدل بلهيص لعلها من (بَال) بعل أو (هيص) اسم أحد الآلهة.

القرعون: عند العامة اللوز الأخضر والمشمش قبل نضجه، وربما كانت منحوتة من (قب) مركز أو مرتفع اتخذها المصريون مثل قب الياص [قبل] اليونان. (ورع) الشمس النار

والنور لأنها على تلة مواجهة الشمس (أي مركز نور الشمس). أو من القرعة، وهي الرأس من دون شعر لقلة أشجارها وسمي (الجبل الأقرع) لذلك في فلسطين يحد افتتاحات يشوع إلى الجنوب (يش ١١: ١٧ و ١٢: ٧). [والقرعون] مقابل قرية (باب مارع) بين عيتنيت وسغبين على الجبل الشرقي (القرعون).

وعرعان: قرية خربة ربما كانت منحوتة من (عين) أو (رُع) و(آون). والعرعان والعرحار نبات خصص لعبادة الإله عشتروت أي الزهرة ومثله الأرز والسرو والصنوبر.

اللبوة: في البلدة سدّ إلى كعب القرية برأس التل وهي فوق المياه على طريق العربات إلى حمص على علو خمسة أمتار، ولها قناية إلى تدمر لها آثار. واللبوة القديمة موقعها حول حصن القرداح على تل عالٍ. ولعلها من (لي بوا) العبرية بمعنى المدخل إلى - كما قالوا - (المدخل إلى حماة) من البقاع.

حرتعلة في دمشق: ذكر ابن عساكر ١: ٢٢٦ في المساجد فقال: (عند حرتعلة عند النهر أنشأه أبو طاهر ابن^(١) البيضاء). وكفرتعلا سريانية بمعنى حقل الثعلب فلعل (خور) آلهة و(تعلا) ثعلب أي الآلهة ثعلب لأنها من رموزها.

ولعل (حورتعلا) من جُور المشتقة من جَرَر أي مضافة ومنزل. وتعالى تحريف (بُعْلَه) فيكون (بيت بعلة). وحر بالفارسية.

أوروتال: آرامية (أور) نور و(تال) تعالى أي النور المتعالى، وهو الشمس وهو ديونيس وباخوس الذي كان عند اليونان إله الشمس.

حَرْبَتَه: وفي معلولا اسم (حَرْبُونَا) لتلال رأسها محدّد كالحراب. و(حرتويا) سريانية معلولية معناها (الحراب).

نهر مرس أو مرسياص: لعله الغزير [أو] الغزير أساطير الأولين ١٢٥ قصة.

يونين: عبد الكلدانيون (يو) وهي فينيقية بمعنى النور وهيكلها على شاطئ بحيرة

اليمونة، ويرمز إليها الفينيقيون بصورة بقرة بيضاء أو سوداء وعلى رأس تمثالها قرنا ثور وهي أخت البعل.

برج: يونانيتها (بِرْعُوس) ومنها (بِرْعُش) في الليطاني. لعل عيون (أرغوش) في جبل المسقية باسناد المنيطرة منها.

اللبوة: زعم بعضهم أنها دلالة على وجود الأسد في سورية المجوفة. ولعل الأولى أنها من أسماء عشتروت السورية في مصر. ويمثلونها غالباً (أي المصريون) برأس لبوءة واقفة على مركبة تقودها، فتكون عندهم سيدة المركبات والخيول، أو أنها تعريب كلمة (سخت) وهي معبودة مصرية تُمثل عادة بصورة لبوءة أو امرأة برأس لبوءة. (راجع النبي شيت). وشعث على حدود اللبوة من جهة متصلتان ومن أخرى بينهما (حربته).

ريحا: عبرانيتها (اريحا) بمعنى القمر لعبادته.

حُورُ تَعْلَة: نرجح أنها آرامية من (أُور) بمعنى نور أو ضياء و(تال) تعالي، فالمعنى النور المتعالي، وهو الشمس أو دينوسيوس أو باخوس اليوناني إله الشمس ويسمونه (أُورُوتال) أو بريثال بيت أور تال. وقد تكون تحريف (جُورَبَعْل) أي منزل البعل. والأولى الوجه الأول فخور أو أور أجنبية (تعالي) عربية من العبادات الممتزجة. و(حُور) هي على هيئة الباشق عند المصريين يسميه اليونان (أبلون).

بريتال: ولعلها محرفة من (بيت أوروتال) المذكورة في حور تعلقة. وقد مر لها وجه آخر وهو أنها (بِرِيتان) كما تلفظها العامة فتكون بمعنى (بيت رُوتان) وهذا اسم شعب سورية المجوفة القديم المعروف باسم (روتانو) باللغة المصرية تحريف (لود) بن سام كما سنرى في باب سكان الوادي القدماء. ومثلها (بِلُودان) فإنها تحريف بيت لودان أي اللوديين، مما يدل على الاستعماليين وأن الثاني فرع الأول أي (روت) فرع (لود) بالتحريف، فكانت بلودان عاصمة اللوديين تحت الحكم الآرامي وبريتان عاصمة الروتنيين أنفسهم تحت الحكم المصري.

وبريتان في قاموس الكتاب المقدس (٢٣٧: ١) بعل بَرِيب (رب العهد) بعل السكمين بعد موت جدعون (قضى ٨/ ٣٣: ٤: ٩).

وبريتان أرجح أنها تحريف (بيت روتان) على النحت أي بيت قدماء سكان البلاد الآراميين لأن (ريت) أو (رُزت) تحريف لود ابن^(١) سام المعروف في التوراة. وربما كانت من (بردت) أو (بروش) وهو في الفينيقية من أسماء المخروط ويراد به السرو أو الصنوبر. أو تحريف (أبيروت) أي القوة مثل رومة. وبروش وبيروت بمعنى عشتروت ولعلها هي لابواش المذكورة في تواريخ السلوقيين، وهي تكاد تقابل (كارا) أي الكرك كما مر آنفاً. وأما بيروت فجمع بئر.

أما العامة فمن أقوالها في تسمية هذه القرية: إنها تحريف (بَلَو) (تار) أي بلاد البلاء ولا وجه لهذا القول ولذلك يكتبها البعض (بريتال) على أن العامة تلفظها بريتان. وقيل هي بروثة المذكورة في التوراة. ولكن أمام الجبلية قرب كفر زيد أطلال (بروته) إلى عهدنا وهي أرض بهذا الاسم كما في قاموس الكتاب لبوسط^(٢).

دُورس: تحريف دُورس، Doris ابنة أوسيالوس وزوجة بربوس أحد آلهة البحر فهي إحدى بنات البحر عند اليونان أو ذو (إيريس) أي إله الزراعة ودُورُون هبة (يونانية) ودُورِيس (رمح).

حربته: لعلها من (حور) إله مصري على هيئة الباشق يسميه اليونان (أبلون) و(تباي). والحُرْبَة: نبت مبسوط له ورق طوال رفاق طيب الرائحة يزيل بخر الفم لطيب رائحته وهو منتج يزيل سدد القولنج ويقوي القوة الهاضمة. وهي لعلها من كلمة (حوريب) بمعنى الخراب فتكون حربتا الخبرة على هذا التفسير.

صَفِيَّة: سمّي بها (حوش تل صفية)، وصَفِيَّة بنت البحر عند اليونان، أو صُوفِيَّة (الحكمة عند اليونان) و(صَفِيَّة) بمعنى كهفية أو ساكنة الكهوف إحدى بنات البحر Sfaio وصوف (أمم ٩: ٥) مدينة [في] فلسطين.

ولعل (صوبا) من بقايا صوف. ولعل حوش تل صفياً هو صوبا. (وامتاريثم صوفيم). ويقال إن الليطاني هو حدود فلسطين فيصح الرأي أن تكون هو حوش تل صفية هي صوبا.

(١) بن.

(٢) بوست.

الْبَيْرَة: فينيقية وعبرانية بمعنى قصر وحصن، والبيرة في القدس نحو ساعتين ونصف قرب رام الله^(١).

رفيد: بمعنى راحة وتوجد قرية (رفيديم)^(٢) بمعنى راحات في محل قرب سيناء بفلسطين.

يُونَيْن: لعلها من (أدنين) بمعنى (أبي البعل) و(يُون) نور بالفينيقية وهو النور. وقد عبده الكلدان وشيّد له هيكل على بحيرة اليمونة أي نُور. فصار الاسمين (يُوادنين) وحُرِّفَت يُونَيْن. وإذا صدق أن بعل الفينيقي ذهب إلى بابل فبناها فإن ابنه (نين) لم يقابل إحسان أبيه ونعمته إلا بكونه جاهره الحرب ودوّ في سورية المجوفة وفينيقية ومصر. ومثلها (صنّين) من (سين) القمر و(نين) ابن البعل.

الْفِرْزَل: سريانية أو فينيقية بمعنى الحديد وهي تحريف (بُرْزَل) بهذا المعنى، وبالسريانية تعني معمل أو مسبك حديد. سريانية (فِرْزَلُو) أي مفروز وفيه إشارة إلى سبك الحديد. وفُرْز بالعبيرية بمعنى انفرد وانتشر. والفرزيون جمع فرزي بمعنى ساكن الحقل، فلعل (الفرزل) من هذا الاشتقاق أضيفت إليها (إيل) فقليل (فرزايل).

زَبْدَل: لعلها تحريف (زبدئيل) وهو علم عبراني بمعنى هبة الله. ومنها (كفر زبد) و(عين زبد) والزبداني، كلها من زاباد بمعنى هبة عبرانية الأصل. و(زبدي) اسم عبراني بمعنى هبة يَهُوَه ولعل المعنى أن هذه القرى كانت هبة من نوع الإقطاع. أو أنها إشارة إلى الخصب (الزبد) لأن فيها مياهاً وحدائق.

شَعَث: اسم الإله المصري وهو عند العرب باسم (سَعْد) فلذلك ترى قرية شعث قرب مدينة بعلبك كانت مقرّ عبادة هذا الإله بالمصرية. وسعد في سعدنايل قرب زحلة لعبادة العَرَب (راجع اللبوة وشعث). قال أحمد بك كمال المصري^(٣) سعد وهو صخرة ويقال

(١) أنظر: معجم البلدان فلسطين، ص ٢١٤ - ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١٤ - ٤١٥.

(٣) علامة أثري، من نوايا مصر. أصله من جزيرة كريت، ولد ونشأ في القاهرة ١٨٥١ وتوفي فيها سنة ١٩٢٣. وكان يجيد عدة لغات. عهدت إليه السلطات أمانة متحف القاهرة. له مصنفات عدة. راجع مجلة المجمع العلمي العربي ٣: ٣٠٠-٣٠٧ (المحقّق).

لها بالمصرية (شعث) ومعناها لغة (الأصلية) وهي اصطلاحاً اسم لحاتحور فلذلك عبادها صابئة^(١).

وشعث تحريف (سخت) المعبودة المصرية المذكورة هنا في اللبوة، والذي يؤيد ذلك أن القريتين متجاورتين فكان اسم إحداهما باللغة المصرية محرّفة، والثانية معرّبة سمّاها العرب. والله أعلم.

نَبَحَا: لعلها تحريف (نبتحات) وهي نفتيس أخت أزوريس وإزيس وستي ووالدة أنوبيس عند المصريين، وتوجد قناة أونوبح أخذها نوبح ودعاها باسمه وهي الآن قنوات قرب طبرية فلعل (نبحا منها).

سَرَعَيْن: ربما من كلمة (شير) أسد. فتكون عين الأسد أو عين الرئيس. أو من (صَيْر) العبرانية بمعنى (الصوّان) فيكون معناها (عين الصّوان). وصَيَّر موضع في نصيب نفتالي بفلسطين، وسير في بلاد الضنية في شمالي لبنان. وهناك وجه آخر ربما كانت تحريف (سِيرين) المعبودة المصرية التي تضرب على العود ولها تمثال عندهم وهي من آلهة الموسيقى. وشيرون أو حيرون بمعنى أدنى اسم قنطور طيب قديم ومنه قرية شرين في سهلة قرب الشوير تحت دير مار الياس شويا.

زُعَيْت: لعلها تحريف (رعت) أو (رعتي) أو (رعتاوي) مؤنث (رَع) الإله المصري، و(رَيْتِيه) Rhytie مدينة في جزيرة كريت اسمها الآن (ريتمو).

الحوش: وهي كلمة تضاف إلى اسم آخر. مثل حوش النور والأمراء وحوش الزراعة وحوش حالا وحوش الرافقة، وحوش بردى وحوش تل صفية. الحوش من خاؤوس اليونانية بمعنى المسوّر، الخاوية الفاضية من خاؤوس.

والحوش إما يونانية من خاؤوس بمعنى محل عميق وهو المقصود ومن هذه التسمية

(١) الحاتحورات سبع وجدت مرسومة في هيكل اسفيا بمصر، والحاتحورات المعبودات السماوية ومنها (مناة) بمعنى المرضعة، والعزّي تحريف أُوْزيت المصرية بمعنى القمر المنير بعد خسوفه. واللات وسعد ويغوث. (المؤلّف).

عندنا اليوم، وإما عربية عراقية يسمي بها العراقيون في بغداد وضواحيها شبه الحظيرة وهذي^(١) تسمية عامتنا (صيرة) ولعلهم اكتسبوها من اليونانية.

بلودان: لعلها بيت (لودان) أي اللوديين قبل تحريفها في (دوت) وهي بلغة الآراميين وربما كانت تحريف (بلوتون) إله الجحيم عند اليونان كما مرّ آنفاً.

نخلة أو نخلة: قرب بعلبك وهذه تحريف الأولى على الأرجح لأن شعار الفينيقيين النخل فسميت به فهي فينيقية. ونخليل مثل هذه وادي النخيلة يصب في وادي أرنون المومن وقيل هو زرقا معين. فنخلة ونخلة بمعنى، وهي قرية لبني كلب في بعلبك ونسب إليها بعض العلماء وقال المتنبي من قصيدة^(٢):

وما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
ولعله أراد أن إقامته وهو سني بين الشيعة الذين يخالفونه في مبادئه هي تنقيص له وانتقاص من قدره.

شيت: ولعلها تحريف السكيثيين Scythes أي قدماء التتر ويسمون شتي أو شيت. جنته: في وادي يحفوا لعلها نسبة إلى اسكندر جانيوس أخو أرسطوبولوس المكابي ويرجح أنها من السريانية (غانتر) أي الجنينة.

غانيت: لعلها يونانية (الغينة) أي امرأة لعلها نسبة إلى أنتيغونوس بن أرسطوبولوس الثاني - (الغينة في لبنان).

غانيميد: بمعنى مسرور - ساقى زُفس ذكره أوميروس في إلياذته، لعلها سريانية (غنتو) أي الجنينة. ومنها قرية (جنته).

(١) وهذه.

(٢) أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الجعفي، ولد عام ٣٠٣هـ / ٩١٥م وتوفي عام ٣٥٤هـ / ٩٦٥م. تقلب ولاؤه بين عدد من الأمراء، لكنه تعلق بسيف الدولة الحمداني وأقام لديه تسع سنوات. يعتبره كثيرون أعظم شاعر عرفته العربية، والبيت من قصيدة طويلة، ويعتبرها الواحد في إطلاق صفة المتنبي عليه، ديوانه ٣١٩: ١، وابن خلكان في وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، مج ١، صص ١٢٠-١٢٥. ونخلة قرية لبني كلب على بعد ثلاثة أميال من مدينة بعلبك (المحقق).

المغيثة: قال ياقوت^(١): منزل في طريق مكة، وقرية بنيسابور.

مقنه: قال ياقوت هي قرية قرب (إيمة)^(٢).

القاع: أطم^(٣) بالمدينة. منزل بطريق مكة بعد العقبة.

ماسة: ماسيس Mases بلدة في أرغوليزة ذيوميد. و(ميسنه) Mysiens مدينة لقدمونية تدعى الآن (ماسا) ذكرهما هومير^(٤) بإلياذته.

دربل: قرية قرب حينه في وادي العجم قرب دمشق لعل تحريفها (تربل) وإليها ينسب الزبيب الدربلي الجيد. وربما كانت (دير آبل) أي دير المرج ونحوها.

مخاضة جنب النبع (الفاعور) ملتقاها بنهر تربل المسمى (رأس العين).

ويسمى نهر تربل نهر الغاب إلى أن يتصل بالفاعور ثم الغزير، وذكر النجم الغزي في كواكبه في ترجمة الشيخ عبد القادر الصفدي المعروف بابن حبيب: إن الشيخ علي بن ميمون كان في دربيل من قرى البقاع وذكر له قصة طويلة مع ابن حبيب.

بروثة: خربة فيها أطلال موقعها قرب ينبوع الفاعور إلى شرقي معلقة زحلة الجنوبي وهذه الأطلال تطلق على الأراضي آخر أملاك المعلقة المحاذية للجبل الفاصلة بين أراضي (كفرزبد) و(المعلقة). وفي تلك الأطلال حجارة قديمة كبيرة [مذكورة] في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوسط^(٥) (١: ٢٧٢).

(١) معجم البلدان ٥: ١٦٢.

(٢) ورد في الأصل إيمة والصواب إيلة، معجم البلدان ١: ٢٩٢ (المحقق).

(٣) الأطم هو الحصن المبنى من تراب مجبول بالماء والقش والحجارة الصغيرة. كما ورد في لسان العرب والصحاح. ويرد كثيراً ذكر الأطم في سيرة ابن هشام وفتوحات الواقدي وباقي أعمال المؤرخين القدامى، عندما يجري الحديث عن أماكن القبائل اليهودية وحصونها في يثرب - المدينة وخيبر وغيرهما لدى حصارها من جانب الرسول وصحابه. راجع: ياقوت ١: ٢١٩ (المحقق).

(٤) استعمل هنا اسم الشاعر اليوناني هومير فيما سبق واستعمل أومير، وهو هوميروس أو أميرون (المحقق).

(٥) بوست، وللدكتور لطفي السعدي رسالة عنه بالانكليزية بعنوان *The Life And Work Of George Edward Post*. وقد جاء فيها إنه «كان قوي الشخصية، جيد المحاضرة، سريع الخاطر، حاضر النكته، في سمعه صمم ازداد في كبره...» (المحقق).

بيروتاي أو بيروت: (آباري) وربما هي بيروت: والأرجح أنها قرية بريتان على بعد ٦ أميال إلى الجنوب الغربي من بعلبك و(أرجح أنا عيسى المعلوف) أنها هذه لأنها مدينة يحفوفة [ومثلها باسمها في شمالي]^(١) فلسطين. ويقال إن بيروتاي أو بيروت أو خُون من مدن آرام صوبه، قيل بيروت أو بريتان ولعلها البيرة.

يحفوفة: وهي اليهفوف القفر من الأرض ولعل منه حرّفت (يحفوفة) أو لعلها مركبة من (يُوح) الشمس و(فوفه)...

الناصرية: قرب ماسّة على التلة إلى جهة رياق - وهي خصيبة ذات مياه لسقيا الأرض وربما كانت مصيفاً للملك الناصر الأيوبي^(٢) لجودة موقعها وخصبها فنسبت إليه وهي (قنا). ميندر: Meandre نهر يوناني اسمه الآن مندر ذكر في إلياذة هوميروس.

مندرة: قرب دير تعنايل يرجح أنها كانت مناسك للرهبان معناها باليونانية (حظيرة) أو محل لتبيت المواشي كالأغنام ونحوها.

ماسّة أو ماسي: يونانية بمعنى تلة أو كتلة يونانيتها (ماسّة)، ولعل كلمة مزة قرب الشام بمعناها اكتشف فيها الأب جوليان اليسوعي سنة ١٨٨٩ م كتابة لاتينية نذرية يظن أنها من أيام قياصرة الروم الأنطونيين.

تربل: يونانية بمعنى المدن الثلاث (أي تري بوليس) ومنها اسم مدينة طرابلس في سورية وقرب طرابلس جبل يسمى جبل (تربل) فلعل بعض سكانه نزحوا إلى البقاع وسموا البلدة باسمهم ولا سيما في عهد الأيطوريين وامتداد سلطتهم إلى طريق البحر المتوسط واستيلائهم على طرابلس وغيرها. و(بيت أربثيل) في فلسطين ذكرت باسم أرميلا فلعله

(١) زيادة من المحقق ليستقيم المعنى.

(٢) صلاح الدين الأيوبي مؤسس الأسرة الأيوبية، تولى الحكم في مصر بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه الذي قصد مصر ومعه صلاح الدين وتولى حكمها بعد أن قضى على الدولة الفاطمية وطرده الصليبيين، لكنه ما لبث أن توفي فخلفه، صلاح الدين، الذي وحد مصر وبلاد الشام وقاتل الصليبيين في الكثير من المعارك، لكن معركة حطين كانت الأبرز، بعد وفاته عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م تفككت دولته بين أبنائه بعد أن شهدت الكثير من الصراعات (المحقق).

تحريفها، أو يونانية تريغوليون أي آلة مثلثة الأصابع أو بمعنى شوك. وفيها ثلاث تلال بنيت عليها قرى قديمة.

حوش حالا: ربما تحريف إيل فليل حوش إيلا ثم زحيلاً ثم حالا على طريقة تصرف العامة بالألفاظ. وأضافوا إليها الحوش بعد ذلك. حلا تركية (حالا).

رياق: تل رياق عليه القرية يونانيتها (ريايكي) بمعنى مجرى الماء المرسل مصغراً وموقعها في فم وادي يحفوفة على تل باسمها، ريكس المجرى مصغره (ريايكيون) فيحفون (أون)^(١) باللغة العامية فتبقى (ريايكي).

علي النهري: نسبة إلى ولي دفن فيها هو الشيخ علي الزهري وسمي النهري لنسكه على شاطئ النهر، أي نهر يحفوفة المتصل بهذه القرية ومقامه عليه قبة.

حرمون: اسم جبل الشيخ وحرمون بمعنى (قمة عالية) أو (مقدس) وسماء الصيدونيون (سريون) أي المتلالي لأنه مرصع التاج بالثلج. والأموريون (سنير) أو (شنير) والعبرانيون جبل (سيئون). وقمته الجنوبية تسمى (قصر عتتر) ويجوز أن يكون (حرم) (أون) أي حرم الشمس.

الليطاني: النهر الذي يجري في البقاع إلى الجنوب هو على ما يظهر تحريف (الروتاني) نسبة إلى الروتانيين وهم سكان سورية المجوفة كما سترى في باب سكانها.

العاصي: الشائع في تسميته أنه سمي بذلك لأنه يسير من الجنوب إلى الشمال وهو غير المتعارف في مجاري الأنهر من الشمال إلى الجنوب فسمي لذلك العاصي. والذي نراه أولى بهذه التسمية أن اليونان سموه باسم أحد أنهارهم في آسية الصغرى (أكسيوس) (أكسيي أوس) ومعناه هنا مستحق وحرّفه العرب بعد لفظه آسيوس ربما باللاتينية أبدلوا الكاف سيناً بترك علامة الرفع اليونانية (أوس) فبقي آسيوس. فحرّف (عاصي) ولعله أولى.

وفي الإلياذة العربية (أكسيوس) Axius بمعنى متوازن، نهر في مقدونية يدعى الآن (وسترستا). قال ياقوت في معجمه (٣٤٨: ٩ و ١٦٧: ١٠) أكسوس نهر في غربي آسيا يسمى اليوم أموداريا (خطأ لأنه نهر سيبيريا) وجيحون سمي بالعاصي.

(١) تنبيه: يُؤن أداة التصغير باليونانية (المؤلف).

جوسيه: وهي اثنتان إحداهما الخراب والثانية العمار وقد وصفناها في سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) عن الحوادث التاريخية راجع (رأس بعلبك) ويرجح أنها مدينة يونانية، ولعلها منسوبة إلى جوستنيان الروماني.

رَبْلَه: بمعنى خصب وهي قرب منبع العاصي سكنها ملوك بابل لحسن مناظرها وجودة موقعها. وكذلك فرعون نخو عَرَج إليها برجوعه من كركميش (جرابلوس). ونزل فيها نبوخذ ناصر^(١)، وهي شرقي عين. وعين ينبوع في شمالي البقاع على مقربة من قائم (قاموع) الهرمل ويسمى الآن نبع العاصي غربي ربله. و(ربله) مدينة في فلسطين و(رملاح) أو (أريحا) بجوار (حامات) أو (حماة) نزل فيها نحو سنة ٦٠٣ ق. م وكان قائد جيش جرار فنزل في فلسطين ومنها إلى شمال سورية وعاد إلى الجنوب فنزل في (ربلاح) ويرجح أنها (ربله).

يَحْمُر: لعلها تحريف اليَحْمُور لنوع من الأيل يسمّى الوعل أو حمار الوحش. واليحمور يكثر وجوده في بلاد بشارة والكرمل وجليع، والظاهر أنه كان يكثر في نواحي هذه القرية فسميت به. واليحمور طائر ولعلها منحوتة من (يُوح) و(موري) أي السيدة الشمس. ويُوح من أعلام الشمس العربية.

سُحْمُر: ربما (شيخ مُوري) أي السيد شيت المصري.

جَبَّاتا (موضع مستو) عبرانية.

جَبّ جنين: مركبة من (جَبّ) بمعنى بئر و(جَيْنُون) معبودة مصرية كان من بنيتها المربخ أي مارس إله الحرب. وفي فلسطين (عين جَنِيم) عبرانية بمعنى (عين البساتين) وهي موضع في ساحل يهوذا تسمى عين جينة.

وإما أن جب (العبرانية) بمعنى بئر، وجنّين تحريف (جنّيم) العبرانية جمع جنة بمعنى البساتين والحدائق. وعين جنّيم في فلسطين قرية ليهوذا (يش ١٥: ٣٤) ومدينة في تخم يساكر يظن أنها (جنّين) الحديثة كانت ممراً لمجرى ماء يسقي الحدائق المحيطة بها (يش

(١) نبوخذنصر ٦٠٥ - ٥٦٢ ق. م، من أبرز القادة الذين أنجبهم بابل، اشتهر بحروبه ضد الدولة الرومانية، وقام خلالها باحتلال فلسطين وسبى اليهود من أورشليم عام ٥٨٦ ق. م (المحقق).

١٩: ٢١ و ٢١: ٢٩). وربما هي بيت البستان (٢ مل ٩: ٢٧). وفي جدول مدن اللاويين يظهر أنها سميت عانيم (أ أي ٦: ٧٣) (قاموس الكتاب المقدس).

زحلة: إما زحل الأرض بمعنى تزحزحها من مكانها أو من الإله زحل. وفي كلمة (علّين) على شرفتها الجنوبية فوق كسارة ما يؤيد هذا الرأي لأنها على ما نرى تحريف (علّيون) وهو زحل عند الفينيقين. وقيل إن (علّين) سريانية أصلها (بتعلّين) بمعنى مأوى الثعالب والله أعلم. ومن المشهور على ألسنة اللبنانيين قولهم (جنّة علّين) دليل أنهم اعتقدوا أن الجان سكنتها وقيل كان ملوك عنجر يأتون بقارب إلى كسارة وعلّين للتنزه.

عين الدّوق: قرب زحلة على شرفتها الشمالية في غربيها من أحيائها مشهورة بجودة هوائها وعذوبة مائها ومحلها مستشفى للأمراض العضالة، فهي إما سريانية أي كلمة (دّوق) بمعنى المنظر. أو هي تحريف (داجون) إله الطب ولا تزال توصف مياهها للمرضى لجودة مناخها. ويقال إنه استشفى فيها دوق (Duc) نمساوي وشرب من عينها فسميت على اسمه، عين الدوق أو عين Duc وهذا ما سمعته من سيدي الوالد شخصياً رحمه الله.

مَكْسُه: عبرانية بمعنى المكس وجمعها مكسيم بالعبرانية بمعنى المكوس وذكر اسمها في كتابات تل العمارنة في مصر باسم مكسو بأيام الفراعنة. والذي يظهر من تسميتها أنها كانت ممكساً (كمركاً) للبضائع تستوفى فيها رسومها وتعرف بالمكوس. وهذا ظاهر من موقعها على ملتقى طريقي القادمين من مصر أو من السواحل، لأنها تحت المريجيات في وادي عميق، فيمر بها القادم من طريق بيروت بين جبلي الكنيسة وعين دارة، وكذلك يمر بها القادم من طريق صيداء وضواحيها ماراً بمشغرة.

أو يونانية (ميكسيّس) بمعنى اختلاط أو مفترق الطرق. وقربها (شتورة) بمعنى (ستافورا) اليونانية بمعنى صليب (أي مصلب الطرق) أو قارعة الطرق.

ومرسياس أو ماسيس اسم لنهر الغزير وللبقاع وربما كانت الكلمة من ماشيا عند الماويين والفرس وهو أبو العالم وامراته ماشيان وذلك من اعتقاداتهم مما يدل على امتزاج جميع العبادات في هذا السهل، أو أنه سمّي باسم (مرسياس) أحد ملوك ليدية التي سكنها الليديون من سلالة لود بن سام وهي في غربي آسية الصغرى وقيل في الأساطير القديمة

إن مارس (المريخ) أحد النافخين الحاذقين بالشباب دعا يونا يوماً ليفاخره بالنفخ بها فغلبه وسلخه حياً قرب نهر الغزير فسمي نهر (مارس) وذلك جزاء كبريائه فيكون نهر مارسيا هو دماء الذبيحة وأدمع رفقاء المقتول وأدمع الرعاة والهوريات. واليونان يسمون مارس (أي المريخ) (آريس) أو أريس.

كتاب خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي

ومن إملاء مؤلفه نقلت:

رَفْنِيَّة: بفتح أوله وثانيه وكسر النون وتشديد الياء المنقوط باثنتين، كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رَفْنِيَّة تدمر وقال قوم: رَفْنِيَّة بلدة عند طرابلس من سواحل بلاد الشام. وكان بقربها حصن يقال له حصن (الطوبان) بالقرب منها حصن الخربة كان من أمنع الحصون ويعرف بالحصن الشرقي من جبل بهراء قريب رَفْنِيَّة وهي المعروفة لدى الأقدمين بلفظ رافانية Raphannea ذكرها يوسينوس دبلين وكانت في القرون الوسطى مدينة أسقفية وهي في جبال اللكام ليس فيها من العاديات إلا بعض نواويس وبعض قبور في الجبل.

وفي سنة ٣٨٥هـ^(١) أخذ صاحب الروم رَفْنِيَّة وفي سنة ٣٨٩هـ^(٢) أحرقتها الروم وسبوا أهلها وفي سنة ٤٩٨هـ^(٣) هجم خلق كثير من أهل جبل بهراء على رَفْنِيَّة على حين غفلة من أهلها وغرة من مستحفظيها وقتلوا من بها وبأعمالها ومن في الحصن المحدث من الإفرنج. وأحرق ما أمكن إحراقه من الحصن وغيره وملكت أبراج رَفْنِيَّة وقُتل من كان بها. وفي سنة ٥٠٩هـ^(٤) استولى الإفرنج على رَفْنِيَّة وكانت لطغتكين قرب دمشق. وقوَّدها بالرجال والذخائر وبالغوا في تحصينها فسار إليها صاحبها [في] جريدة فدخلها عنوة وقهرها

(١) الموافق سنة ٩٩٥ م.

(٢) الموافق سنة ٩٩٨ م.

(٣) الموافق ١١٠٤ م.

(٤) الموافق سنة ١١١٥ م.

وأخذ كل من كان فيها من الإفرنج أسيراً فقتل بعضهم وترك آخرين، وفي سنة ٥٢٠هـ^(١) حصر الإفرنج رَفْنِيَّة وضيقوا عليها.

والمرجح أن رَفْنِيَّة التي جرت فيها هذه الوقائع كانت عند طرابلس وبهرام الذي نُسب الجبل إليه هو أحد دعاة الإسماعيلية. وقال ابن بطريق^(٢) إن رَفْنِيَّة تمتاز أهل الحصون الإسلامية الغلات ويتقون بها على قتال الروم. وعدّ المقدسي^(٣) رَفْنِيَّة من جملة الأمصار التي شاهدها المسلمون (أ. هـ.).

قال مؤلفه عيسى اسكندر المعلوف وطالعت في تاريخ سعيد بن بطريق طبع اليسوعيين سنة ١٩٠٦ ص ٢٦٢ ما نصّه:

وعاد ينقيط الرقطة قطبان أنطاكية غازياً حصن المنيقة وقصد أولاً (رَفْنِيَّة) لأن منها تمتاز أهل الحصون الإسلامية الغلات ويتقون بها على قتال الروم. ففتح أبرجتها وعدّتها ستة وملك جميعها وأخذ جميع من فيها بالأمان من القتل وكان عددهم زهاء عشرة آلاف إنسان وخرب سائر الأبرجة إلى الأرض وساد وقومه المأسورون^(٤) إلى بلد الروم ونازل حصن (صافيتا) من عمل المسلمين في جبل نُهري واستخلص منه رئيساً كان المسلمون أسروه وبذل في نفسه جملة كثيرة فانتزعهُ منه قهراً مخلوعاً عليه من المقيم في الحصن ومحسناً إليه. ثم نازل حصن (المنيقة) وكان بين يدي الحصن وادٍ عميق يحول بينه وبين نزول العساكر عليه [فيتعذّر حصاره] فردمه بالشجر العظام والعيذان الطوال والحجارة والتراب إلى أن ساوى الأرض ونصب عليه المنجنيقات وقاتله ونقب فيه نقوباً وطرح الفصيل وبعض الأبرجة وفتح قهراً بعد منازلته إياه ثلاثة^(٥) عشر يوماً وكان فتحه يوم الأربعاء

(١) الموافق سنة ١١٢٦ م.

(٢) طبيب ومؤرخ من أهل مصر. ولد بالفسطاط ٢٦٣هـ/ ٨٧٦ م، وسيم بطريقاً في الاسكندرية، وهو

أول من أطلق اسم اليعاقبة على السريان... راجع: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٨٦/٢ (المحقق)

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥ م)، جغرافي عربي، وهو صاحب كتاب أحسن

التقسيم في معرفة الأقاليم، طبع في ليدن سنة ١٩٠٦ م (المحقق).

(٤) هكذا في الأصل: وساد قومه المأسورون، والصواب وساق وقومه المأسورين. (المحقق).

(٥) ثلاثة.

أول كانون الأول سنة ١٣٤٣ هـ وهو النصف من ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ وأسر منه ثمانمائة وعشرة أنفس منهم حرمة نصر ابن^(١) مشرف وأربع بنات له وجماعة من أهله وكان هو قد خرج عن الحصن عند ورود العسكر. وألقى القبطان بعد أن ملك الحصن النار في ذلك الوادي الذي ردمه فاحترقت الأخشاب التي فيه وتكلس الحجارة وعمر بذلك الكلس ما تخرب من الحصن وأوثقه وحرّر الوادي وأشحن الحصن بالرجال والعدد والميرة وانصرف عنه.

وعبر بحصن بتكسر ائيل وخاطب أهله في تسليمه إياه وأن يطلق عن أسره من دمن المنيقة من حركهم بأهاليهم ووعدهم بالإحسان إليهم فأبوا وتجلدوا فانصرف عنهم لما نال أهل العسكر من التعب وقوة الشتاء وتواعدتهم بالعودة إليهم وتوجه نحو أنطاكية وكان أهل دمن أفامية يجمعون جموعاً في ضيعة كبيرة أهلة في عملهم تعرف بجريرين ويغيرون منها على ما يليهم من بلد الروم فتعدل إليها في طريقه فقصدها في جماعة انتخبهم من العسكر وسباً^(٢) منها جماعة كثيرة وأحرقت.

ثم دخل أنطاكية ورسم لنصر بن صالح صاحب حلب بالقبض على جريرين المذكورة فأضافها إلى عمله وبلاده وامثل ما أمره به واستضر أهل حصن أفامية بخروجها عن أيديهم ضرراً عظيماً (أ. هـ. بالحرف).

لالا: ذكر النجم الغزي في كواكبه: أحمد بن منلا المعروف بخجا كمال أول من ولّى نظارة النظار بدمشق ويعرف بشيخ كمال العجمي أيضاً اللالاي نسبة إلى (لالا) قرية من أعمال تبريز الشافعي المتوفى سنة ٩٣٦ هـ (م)^(٣).

لِيلَايا: Lilée: جزيرة فوقية اسمها الآن (إلن) (في إلياذة أوميروس).

زِلَايا: Zéléa طروادية ذكرت في إلياذة أوميروس.

مَعْدَر: في فلسطين قرية (مَجْدَل عَدْر) ومعناه برج القطيع فلعلَّ مَعْدَر من عَدْر بمعنى القطيع. أو معذر من العذر اسم مكان وحرفت الذال دالاً.

(١) بن.

(٢) سبي.

(٣) الموافق ١٥٢٩ ميلادية.

عين بَرَضِيَه: ذكرت التواريخ حصن بُرْزِيَه يقابل قلعة المضيق (أفاميا) ويناصفها في أعمالها وبينهما بحيرة من ماء العاصي وعيون تنفجر من الجبل وبرطزية قلعة منيعة جداً اتخذها الصليبيون ونازلها صلاح الدين (دبس ١١٥:٦).

ويقال (طُور - أُوْيو) (سر) بمعنى الجبلي.

طَارِيَا: لعلها (طور) السريانية بمعنى الجبل و(إيّا) علامة الجمع السريانية فالمعنى الأطوار أو الجبال ومثلها (داريّا) سريانية بمعنى (الدور) أو أنها من (طور) ومن (أريّة) اسم آلهة تيريه Térée - أي متطلع - وهو جبل في ميسيه ذكره أوميروس بإلياذته أو هي تحريف طيبارية نسبة إلى طيباريوس.

طَلِيّة: ربما كانت دير^(١) للقديس طليليوس أوتلاليوس الطبيب ولعل اسمه سرياني بمعنى مظلّل أو حامي استشهد بقطع الرأس في زمن القيصر الروماني نومريان سنة ٢٨٤ م، أو أنها هيكل للآلهة ثاليا وثاليا Thalia - أي الزهراء - إحدى بنات البحر عند اليونان.

وَطَلِيّة من أعمال المنوفية في القطر المصري نسب إليها عبد الرحمن بن سلام بن إسماعيل الصعيدي الأصل الطليائي ثم القاهري (وثاليوم) يونانية بمعنى غصن أخضر.

خِيَارَة: قرية بالبقاع - وخياره أيضاً قرية قرب طبرية من جهة عكاء أقرب لحِطّين فيها قبر النبي شعيب (عم).

وادي بريسا قرب الهرمل:

أما من بيت و(إيريس) أو (إريس) أو (إريس) Aris - بمعنى - عاقدة - وهي رسولة الآلهة (إلياذة أوميروس).

أو من كلمة (بريسا) اسم سبيّة يونانية. أو من (بريسينا) بمعنى ينبوع، وهي بلدة جنوبي اسبرطة (الإلياذة).

رأس بعلبك: سميت بذلك لأن البلدة الحاضرة شيدت في أعلى القديمة (رأسها). والمدينة كانت في أسفل القرية اليوم، وكونا اسم روماني لها، والسكان يقولون اسمها

(١) ديراً.

(القنّية) وهو تحريفها. ويقولون لها أثينة (أو وادي) القنية أي مينرفا آلهة الحكمة^(١) مما يدل على أنهم شيدوا لها هيكلًا هو أحد هذه المعابد وربما سميت (القنّية) لكثرة الأقنية تحتها. ولا يزال اسم بعض القرى في سورية المجوفة هكذا (قن) أو أنها تحريف (غينة) بمعنى امرأة وفيها دير السيدة. وفي نخبة الدهر لشيخ الربوة قال اسمها (غرة تا) و(اللبوة) وهو تحريف ولعلها عربية بمعنى العمق والوادي ونحوهما وفيها قلعة قديمة ومصنع ماء داخل القلعة، وهي إلى الشمال من الرأس على بعد ٢٢ ساعة. ويقال عن قدور النوري إنه كان يقول: «لولا الاسم نوري لحطّ جرنها من القاع إلى البقاع» وهي حدود بلاد بعلبك من الشمال إلى الجنوب.

الفيكّة: على بعد ربع ساعة إلى جنوبي الراس فيها دير مار جرجس قديم. ووادي فغره بين الفيكّة والرأس ولعلها من (بعل فاغور) أي إله الفجور. والفيكّة تحريف (الفاكهة عند بعضهم) وعندني أنها محرفة عن كلمة (بيّجة) اليونانية بمعنى ينبوع وعين فقيل بيكة ثم فيكّه لأن العامة هكذا تلفظوها ولو كان أصل الكلمة الفاكهة لقل (الفاكية) حسب تحريف العامة وفي لبنان (بجّه) ويقال إن سكانها أصلهم من الفيّجة قرب دمشق - (الفيّجة ربما لاتينية التين).

الهَرْمِل: هرميس أزميس عطار (يونانية) ربما (هرمل) محل عطار. ولعل الهرمل تحريف (هرمونية) إبنة المريخ وعشروت وزوجة قدموس ووالدة النساء الامازونات. (الهرمل)، قيل إن اسمها القديم (أرمينية) والهَرْمِل باللغة العربية الناقة الهَرمة والهوجاء المسترخية وهَرَم ننف شعره، ولعلها عُريت من أشجارها الكثيرة فسميت بهذا الاسم، وربما كانت (عين الجوز) المذكورة في فتوح الواقدي لكثرة الجوز^(٢) فيها. وربما كانت الكلمة تحريف (هَرَم إيل) أي هرم الله نظراً إلى مسلة مشهورة فيه، أو أنها بقية كلمة (أرمينية) أرمين ثم (هرميل) بالإبدال. وجاء في الدر المنظوم للبطريق بولس مسعد أنها (أرمين)

(١) تعني كلمة منيرفا الفكر، ومرادفتها لدى الإغريق أثينا. وتعتبر منيرفا، رغم أنها آلهة الحكمة لدى الرومان، آلهة من آلهات الحرب، إذ تظهر في التماثيل والصور وعلى رأسها خوذة حربية. وكانت عبادتها منتشرة في روما. راجع، قاموس أساطير العالم، ص ١٧١ (المحقق).

(٢) وقرب طفيل في القلمون بلدة (عين الجوزة) قديمة. (المؤلف)

المذكورة في الفتوح. وقال آخر إنها (أرمانيا) وكانت كرسياً أسقفياً تابعاً لحمص كما رأى دوسو ووادنكتون في كتابتهما التي دوناها عن بلادنا. أُرْيُوس: باليونانية خليج صغير وتصغيره (أُورْمِيلْيُون) بمعنى خليج صغير أو ميناء صغير وهذا أكثر.

ولعلها من (هَرْمِس) بمعنى عطار رسول الآلهة فركب منها (هَرْمِس إيل) أي الإله هَرْمِس وحرقت (هرمل) منحوتة منهما. وهَرْمينا بلدة في إلّدة ذكرها أوميروس في الإلياذة و(هيرا) معناها الاتحاد الزوجي رئيسة الاجتماع، وهي امرأة زفس وأخته أي (جونون) وقرب الهرمل وادي التركمان.

يُونَيْن: والبعض يقولون يونان مركبة من كلمة (يُون) وكان الكلدانيون يعبدونها بهذا الاسم الفينيقي ومعناه (النور). وكان اللبنانيون يعتقدون أن (يو) قد سكنت بلادهم وهيكلها على شاطئ بحيرة اليمونة ورمز إليها الفينيقيون بصورة بقرة بيضاء أو سوداء وعلى رأسها قرنا ثور.

أو هي تحريف (هوتين).

و(نين) ابن البعل الفينيقي أو زحل عند الكلدان فمعناها (نور زحل).

مِلْيُسُون: محل يربى فيه النحل (ربما يوناني).

ميسنون: وفي زمن فتوح العرب للشام بعث أبو عبيدة [بن الجراح] بخالد بن الوليد ففتح البقاع بالسيف وأرسل هذا سرية فالتقت (بعين ميسنون) برجل تحدّر إليهم من جبال بيروت اسمه سنان برجاله فقتل منهم كثيراً وسميت عين ميسنون عين الشهداء (ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية) والعامة تقول ميسلون.

والغريب أنه في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ حدثت فيها موقعة بين جيش الشام والفرنسيين وقتل فيها كثيرون فكانها مسماة الآن عين الشهداء ثانية.

عرسال: ربما كانت عربية بمعنى عريسة الأسد: والعرسال عند العامة خيمة توضع على أعمدة عالية للنواطير ونحوهم^(١).

(١) تستعمل العامة على الأغلب كلمة عرزال، والبعض ينطقونها بالسّين أيضاً (المحقق).

جديدة ييوس: جديدة ييوس متاوله تابعة للزبداني فيها آثار قديمة في جبلها متصله أرضها بعيثا.

كفر ييوس: بلدة أيضاً إلى شمال الأولى الشرقي تخص الزبداني. ولعل الاسم (ييوس) من الأمم البيوسيين و(هـيُوس) قيل هي فيق قرب طبرية فلعل منها (ييوس).
جسر دَيْر زَيْنُون: ربما كان (زَيْنُون) تحريف (ذَيْنُون) أي ذيونيس إله الخمر والطرب المعروف باسم باخوس Bacchus، وعبادة باخوس شائعة، فلا يبعد أن يكون له هياكل منها هذا الهيكل الذي حُوّل إلى دير ثم خرب، وقرية (تل ذنوب) في البقاع هي تحريف (تل ذي النون).

وقال ابن عساكر (٢٨٤:٥): ذو النون بن إبراهيم ويقال ابن أحمد واسمه ثوبان وقيل الفيض الأحميمي المصري الزاهد^(١) قدم الشام للسياحة [الدينية]^(٢) وطاف جبل لبنان من أعمال دمشق ودخل دمشق (أ.هـ) وكان مشهوراً بالسياحة ولعله نزل هذا الدير فنسب إليه. وروى الأب هنري لامنس اليسوعي في كتابه تسريح الأبصار (١١٣:١) أن الملك زينون كان القديس ربولا السميساطي في أيامه فتعبّد في جبال لبنان وشيّد أدياراً بمساعدة زينون فلعل هذا الدير نسب إليه.

(١) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، وقيل الفيض بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون، الصالح المشهور، أحد رجال الطريقة، كان أوحده وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك... وقيل عنه إنه كان نوبياً، وقيل من أهل أحميم مولى لقريش. وله قصص وكرامات عديدة. توفي سنة ٢٤٨ هـ/ ٨٦٢ م ودفن بالقرافة الصغرى، وعلى قبره مشهد مبني، وفي المشهد أيضاً قبور جماعة من الصالحين. ابن خلكان، وفيات، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، مجلد ١، ص. ٣١٥-٣١٨ (المحقق).

(٢) إضافة كي يستقيم المعنى.

تحليل أعلام البلدان والمدن بحسب العبادات والآثار

إن أساطير القدماء وعباداتهم التي بقيت أحقاباً طويلة شاغلاً لهم عن كل شيء آخر حملتهم على تسمية أماكنهم ومدنهم وقراهم بأسماء عباداتهم المختلفة، ولا سيما حيث شيدت الهياكل والمعابد التي قام كثير منها في مشارف سورية ولبنان وأودية أنهارهما كالليطاني والعاصي وبردى وغيرها. ولقد كلف كثير من العلماء باشتقاق الأسماء وكتبوا مؤلفاتهم باللغات الأجنبية. وربما كان أول من نبه الخواطر إلى هذه الفوائد التاريخية حضرة صديقيّ العلامةين الأثرين الأب هنري لامنس^(١) والأب سبستيان رونزال^(٢) اليسوعيين في مقالات رائعة في المجلات الغربية والشرقية ولا سيما مجلة المشرق وفي تسريح الأبصار للأب لامنس باب خاص بهذا التحليل.

ولما كنت كلفاً بالأبحاث التاريخية والمتحدث في التسميات، تفرّغت ردحاً من الوقت لتحليل الأعلام في تواريخ سورية بحسب آثارها وعباداتها واللغات التي سميت بها حين زرتها (...)^(٣) وتلة ماري فاجتمع لديّ طائفة كبيرة من التسميات السورية ولا سيما في كتابي (تاريخ سورية المجوفة) الذي توفقت [فيه] إلى تحليل أسماء مدنه وقراه بحسب ما وصلت إليه يد الطاقة وما بلغ إليه العجز. وعرضت كثيراً منها في بعض المقالات المنشورة

(١) مستشرق بلجيكي المولد ١٢٧٨ هـ/ ١٨٦٠ م فرنسي الجنسية، من علماء الرهبان اليسوعيين. مجلة المشرق ٣٥/ ١٦١، المستشرقون ٦٧، معجم المطبوعات ١٥٨٥ (المحقق).

(٢) مستشرق من الرهبان اليسوعيين. بلغاري، فرنسي الثقافة والرهبانية، ولد سنة ١٢٨٢ هـ/ ١٨٦٥ م. تعلم العربية ونشر مقالات في مجلة المشرق. توفي سنة ١٩٣٧ في بيروت. المشرق ٣٥/ ١-٧ معجم المطبوعات ٩٥٤ (المحقق).

(٣) كلمة غير مقروءة، ويبدو أنها اسم الموقع الأثري في ريلة أو لقرية من القرى التي زارها المؤلف، وعليه لا تبدو تلة ماري من خارج السياق، إذ تتعلق بزياراته الكثيرة خلال عمله على المخطوط (المحقق).

في المجالات والصحف والمحاضرات التي ألقيتها مراراً.

ولاقى من المؤرخين والأثريين الذين اجتمعت بهم من مستشرقين ووطنيين استحساناً لما وُفقت إليه ونشطوني على متابعة أبحاثي [واعتماداً] على تلك الوصايا، اختلست الفرص لتتمة الأبحاث. معرضاً عما يتشدد به بعض الجهلاء من هذه الأفكار في لغتنا.

ومما رأيت الإشارة إليه الآن مما حللته في تاريخ سورية المجوفة بلغات مختلفة اسم (كامد اللوز) تحريف كاميتوس اليونانية بمعنى قمح، و(شيت) تحريف (سخت) المصري أو (شتح) إله حثي. ومنها (شعث) و(اللبوة) لأن سخت المصرية كانت تمثل عادة بصورة لبوءة أو امرأة برأس لبوءة. وعيتيت من (عينت) آلهة آشورية هي سميرام و(تانيت) فينيقية أو آشورية. ومنها قرية خربة في لبنان اسمها (كفر تانسيت) و(عقتيت) في ضواحي صيدا.

حُر العبرية بمعنى المغارة (حربتا).

[حريست] و(نسبت) صوابها بست إله مصري إلخ. (الحربيش) رخش و(الحربش) الكبيرة من الأفاعي (حربونا) اسم في معلولا لتلال رأسها محدّد كالحراب معناها (الحراب). و(حربوشا) في خربة دنحا مقام لولي بهذا الاسم ويقال له أيضاً مقام موسى ولعل للقرية علاقة باسم (حرفوش) للأمرء الذين حكموها أو تملكوها فنسب إليهم.

ولعل منها (حربتا) ولدى ياقوت حربت.

(حربتا) - (الحربت) نبت - أو (حوريب) خراب.

و(عيناتا) باسم الآلهة الآرامية ربة السوريين (عنات). ولعل (عينات) في لبنان باسم (عنتات) آلهة الحرب المصرية.

و(عميق) عبرانية بمعنى (عمق) و(وادي).

و(حزرتة) سريانية بمعنى التل.

و(عطيب): لعلها عربية نسبة إلى بني عتيب وهم قبيلة من بني شيبان.

و(وادي القرن): تحريف (كوردن) أي زحل عند اليونانيين، ولعل منها حصن (القرين) في بلاد عكاء و(قرون حماة).

(قرنايل): أي (كورون) (إيل) الإله زحلة.

و(مارع) أو (باب مارع) من (ما) و(رع) إلهين مصريين.

و(قرعون): لعلها من (قب) مركز و(رع) و(آون) الشمس عند المصريين.

و(يونين): مركبة من إلهين (يُو) الفينيقي بمعنى النور و(نين) زحل عند الكلدان.

و(قرأت) عن قرية الأفاعي في جبل القلمون ولعلها منها.

و(تل حرفش) تحريف كلمة هريس.

(حرفش): قرية خربة قرب عين (برضيّه) حذاء بعلبك على بعد نحو خمسة أميال جنوبي بعلبك.

يقال إن الحرافشة سكنوها فإما نسبت إليهم أو نسبوا هم إليها. والحرفوش الصعلوك والحرافيش مشايخ الصناعة. ولعلها كلمة فارسية مركبة من مقطعين (خار) شوك أو (خارا) رخام أو (خور أو خُر) شمس. ومن (پوس) الفارسية بمعنى شبه فتكون شبه الشوك أو الرخام أو الشمس والأخيرة أولى. أو أن المقطع الأول (خور) وهو إله مصري كالباشق، ويعرف عند اليونان بأبولون والثاني (بست) وهو أرطاميس المصرية تصوّر برأس عجل ورأس أسد، و(بست) حرارة نافعة عندهم، وهي تحريف كلمة (خربوشته) الفارسية بمعنى المسنّم والمحدّب.

وحور إنها من (خَر) بمعنى النار و(فست) ربة النار أو من (خُر) شمس (بست) ربة النار. أو الأول تحريف (هيرا) وهي امرأة زُفس ومن (خور) شمس بالفارسية و(پوليس) مدينة باليونانية فتكون ممتزجة من عبادة فارسية ويونانية. أو من (خور) أو (خور) و(برش) بمعنى السرو وهو رمز عشتروت، أو أنها فينيقية أو آرامية، فإن (حور) في السريانية بمعنى (أنظر) و(فوش) أمكث و(الحربيش) الخشن و(الحربش والحربشة) الكبيرة من الأفاعي. مركب من (خَر) أي حمار. ومن (پش) أي شبيه، فالعنى شبه الحمار.

ولا وجود الآن (لقرية الأفاعي) في جبل القلمون، بل هناك محل شرقي جبرود يسمّى (تيار الأفاعي) أي آبار الأفاعي.

حرفش: (قرية خربة في بعلبك)

قرأت ما كتبه حضرة الفاضل الخوري عبد الله نجيم في جريدة البشير الغراء (الخميس في ١٥ آذار الحالي) فشكرت له حصّه على حفظ آثارنا النفيسة في متحف يقيها التحطيم، أو النقل إلى البلاد الأخرى. وخاصة لما كتبه عن اطلال قرية (حرفش) وتسميتها، مشيراً إلى ما كتبت عنها في مؤلفي (تاريخ سورية المجوفة) المطول المخطوط. ولما كان قد وقع في الكلام بعض غلطات استأذنته بالاستدراك عليها في هذه العجالة فأقول:

إن اسم (حرفش) إذا كانت فارسية فاشتقاق من (خربوشته) بمعنى المسنم أو المحدث. أو من (خر) بمعنى شمس و(بس) بمعنى شبه أي شبه الشمس. أو من (خر) بمعنى حمار و(بس) بمعنى شبيه. وحرفش هي الكبيرة من الأفاعي. وفي جبل القلمون قرية يسمونها (قرية الأفاعي).

وإذا كانت كلمة مصرية فلعلها مشتقة من (حور) وهو اله كالباشق. ومن (بست) وهو ارطاميس يصور برأس عجل ورأس اسد، فحرفت اللفظتان.

وإذا كانت يونانية فإما أن تشتق من (هيرا) امرأة زفس، و(بوليس) بمعنى مدينة، أو فست بمعنى ربة النار. أو من إحدى اللفظات الأولى الأنفة الذكر مركبة مع (برش) بمعنى السرو، وهو رمز عشروت. أو هي تحريف (هريس) بطريق، أي قائد الروم عند الفتح الإسلامي للمدينة، كأنها كانت قصرأله، ونحو ذلك والله أعلم. أو كانت قصرأ للأمرأ الحرافشة حكام بعلبك والحرفوش الصعلوك.

وخر العبرية بمعنى المغارة (حربتا).

كلمة و(بيست) صوابها (بست) اله مصري، و(الحريش) يخشى، و(الحربش) الكبيرة من الأفاعي، و(حربوتا) اسم في معلولا لتلال رأسها محدّد كالحراب ومعناها (الحراب)، و(حربوشا) في خربة دنحا مقام لولي بهذا الاسم، ويقال أيضاً مقام موسى. ولعل للقرية علاقة باسم (حرفوش) للأمرأ الذين سكنوها أو تملكوها فنُسبت إليهم. ولعلها من (حربتا)، (حربتا) - (الحربت) نبت، أو (حوريب) خراب.

و(خربة دنحا) (في القلمون قرب معلولا) فيها مقام لولي عند الإسلام يسمّى

(خربوشا)، ويقال إنه مقام النبي (موسى) ولعله محرف عن (خر) السريانية أو (حور) بمعنى خربة قرية (وبوشى) تحريف موسى.

وفي معلولا محل اسمه (خربوتا) وهي سريانية بمعنى (الحربة) لأن ذلك الجبل حربتا رأسها^(١) محدّد كالحراب. ولعل منها قرية (خربتا). و(خر) عبرانية بمعنى المغارة لعلها منها (خر) و(بتاي).

بعض تلال البقاع^(٢)

التل: أمام جبّ جنين على ضفة نهر الليطاني للشرقي تلة عالية قليلاً مثل تل الدلهمية يسمى التل وقربه آثار خربة.

تلّ ذنوب: قرية على تل حمل اسمها (تل ذي النون المصري) إلى غربي الليطاني وهي مزرعة الآن.

تل حوش حريمة: بعد تل ذنوب وهناك قرية حوش حريمة.

تل برّ إلياس: بعد تل حوش حريمة وقربه بلدة بر إلياس.

تل الدلهمية: تل صغير قرب الدلهمية.

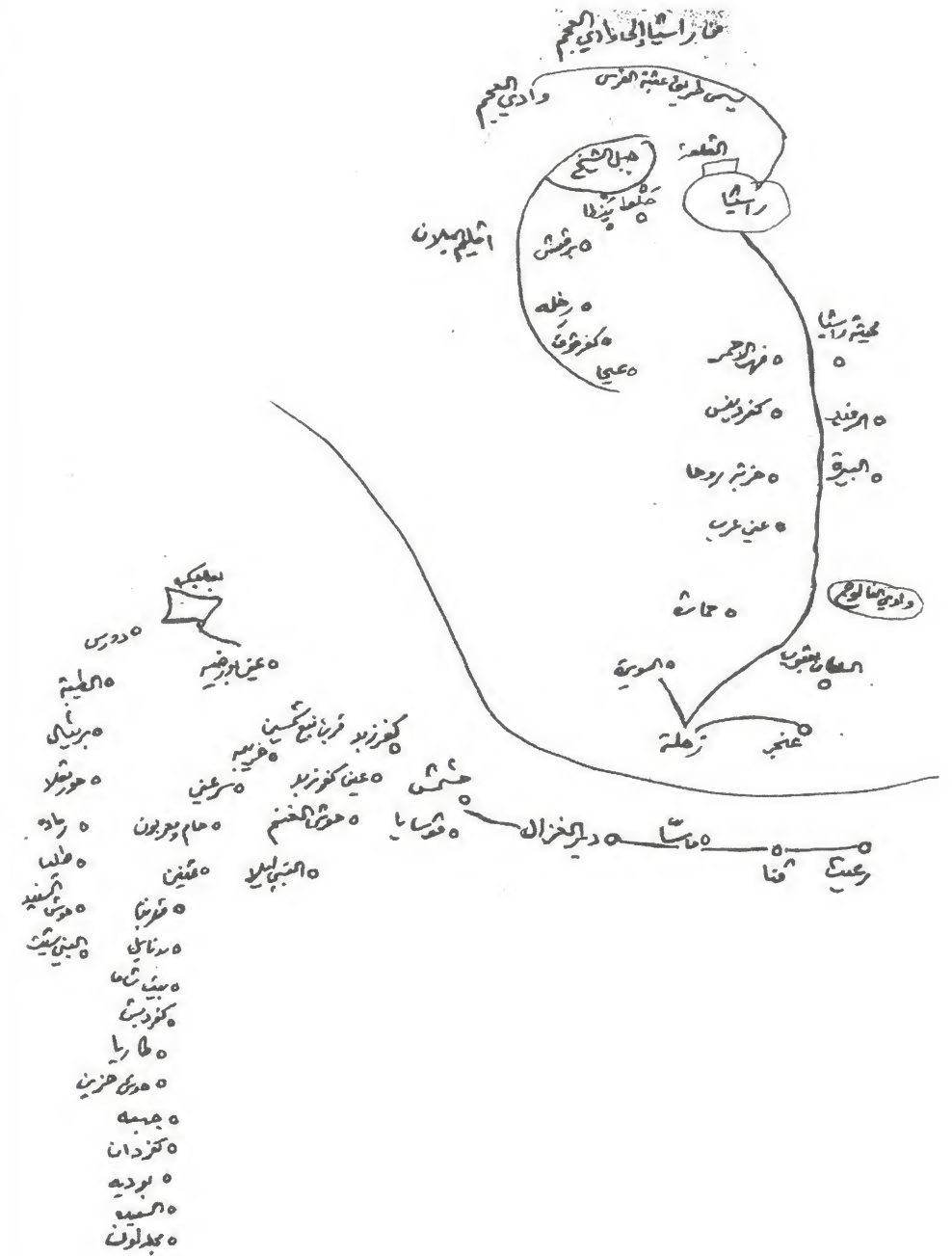
تل علي النهري: قرب رياق وهناك قرية علي النهري.

(١) استعمل المؤلف هنا الجبل كمؤنث والصحيح أنه مذكّر. وعليه تصبح العبارة: ذلك الجبل رأسه محدّد كالحراب (المحقّق).

(٢) يقصد المؤلف هنا التلال المصنوعة بيد الإنسان، وليس التلال الطبيعية، وهناك تل غير مذكور في الأصل يقع في المنصورة - البقاع الغربي - إلى الغرب من نهر الليطاني ويسمى تل الدير نسبة إلى دير بيزنطي كان بالقرب منه. واللافت أن المؤرخ المعلوف أشار إلى تل حوش الحريمة وهو تل صغير أقام الأهالي مساكن من الطين لهم عليه. أما البحث عن أصل هذه التلال فيجب أن يتنبه الباحث إلى احتمال علاقة ما قد تكون مع بناء الزاقيات في بلاد الرافدين لدى حكم الآشوريين للبقاع، وما دفع إلى إقامتها على هذا النحو طبيعة الأرض المستنقعية للبقاع حينها. ودليل قدم هذه التلال ما عُثر فيها من سكاكين صوانية ومكتشفات حجرية وفخارية وقطع نقد في تل المنصورة، وهي تعود إلى عصور مختلفة. راجع زهير هوارى، تاريخ من لا تاريخ لهم، دار ضفاف للنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص. ٩١-٩٦ (المحقّق).

في المروي عن ألسنة عامتنا في زحلة والبقاع هذه العبارة في المناظرة بين عنجر والدلهمية وهي:

قالت الدلهمية: أنا ما بيغلبنى إلا اللي بيحي من عابكره وبيسرّب من عشية.
فقلت لها جارتها عنجر: أنت ما عليك اللي بيصعب عليك رديه عليّ إن كان من عابكره أو من عشية.
مثله مثل أهل الديماس (كبار بعينهم زغار بعينين الناس).



خريطة الطرقات والقرى من راشيا ووادي العجم إلى زحلة وبعبلبك ومنطقتها.

الرابع من صيحاء وخيم في مشغرة ثم هاجمها ففر أهلها إلى الجبال فنهبها وأحرقها فبقيت أطلالاً دارسة سنة ١١٧٥ م وكان اسمها إذ ذاك عين غارة وتدعى الآن عين تربل كما قال ميكل. وروى لي الأب سبستيان رونزال الأثري اليسوعي في دمشق في ٨ أيلول ١٩٢٢ أن في حمارة وبينها وبين الجديدة كتابة عليها اسم غدة أو غرة ولعلها اسم عنجر.

وفيها بركة ماء دورية تمدّ مياهها ثم تجزر. وهناك آثار قنوات قديمة تنسب إلى زينب تدل على جرّ المياه إلى محل آخر ولعلها أخذت من هنا اسمها (عين الجرّ) أو (عين الغريب) كما ذكرنا. وإلى شمالي البركة على خطها نبع شمسين وهناك أطلال بلدة الصالحية خربة الآن من خراج عنجر والنبع يصب في الغزير.

قال ميسلن في سياحته ونبع عنجر أغزر من نبع الليطاني وهو يصب فيه ويعبر على جسر دير زينون، ولك من هذا النهر الغزير والاطلال التي حوله مشهد مدهش (سياحة ١٨٥٥) وبعد التدقيق تقرر أنه هناك كانت عاصمة سهل كلسيس التي تكلم عنها سترابون Strabo^(١) وفي داخل المدينة حتى اليوم دائرة سور ومساحة المدينة نحو نصف ساعة وفيه بقايا أربعة أبواب وعليه ٣٢ برجاً مع عمد رخامية (شحم بلحم) وأردام هياكل وأحواض وآبار ونواويس متفرقة مبعثرة في سفح أنتيلبان في بقعة صغيرة. وهناك جدران متينة تشبه جدران رأس العين قرب صور تدل على أن اعتقادات باطلة.

ومنها يجري نهر عنجر أو الغزير أو مرسيا باسم البقاع القديم ويصب في الليطاني ذكره بلين وسترابون وغيرهما من المؤرخين.

وعنجر على بعد ربع ساعة على محطة المصنع المعروف بمجدل عنجر على طريق العربات بين بيروت ودمشق في مدخل وادي الحرير ووادي القرن.

وبوادي عنجر إلى طريق كفريوس (دعسات الميمون) أو (أجران الميمون) وعددها

(١) مؤرخ وجغرافي وفيلسوف يوناني، يوصف بأنه أبو الجغرافيا، وُلد في كبا دوكية سنة ٦٣ أو ٦٤ ق.م. وتوفي في ٢٣ ميلادية. سماه العرب اسطرابون، جال في اليونان وآسيا الصغرى وروما ومصر، حيث ألف موسوعته الجغرافية Geographia بعد مغادرتها، وهي في ١٧ جزءاً نقد فيها معارف من سبقوه وصحح خرائطهم. (موسوعة المعرفة والانترنت)، (المحقق).

في مدن سورية المجوفة وقراها

البقاع «١»

من مدنه القديمة كلشيس أو خلقيس^(١) أو عنجر وقد ذكرت في كتابات تل العمارنة في مصر سنة ١٥٠٠ ق.م باسم مصري (مات نحاس) أي مدينة النحاس وهو معنى اسمها اليوناني خلقيس، وقد استخرجوا النحاس في جوارها. وكانت عاصمة الايطوريين (الجبليين) واعتصم فيها زعيمهم العظيم المشري الكبير بطليموس مانيوس الذي تولّى لبنان الشمالي والبقاع وبعلبك فغلبه بومبي سنة ٢٠ ق.م. وإليها ينسب الفيلسوف بمبلخيس شارح أفلاطون. والزعيم لنجينوس الذي شيّد هيكل قرية ماسّة في فم وادي يخفوفة لرحل وقد تحوّل إلى كنيسة. وذكر يوسفوس^(٢) المؤرخ اليهودي هذه المدينة وقال: إن بومبي^(٣) القائد الروماني عاج بها قبل الميلاد بثلاث قرن وهو ذاهب إلى دمشق. والامبراطور كلوديوس وهب هذه المدينة هيروودس (غريب).

وبقي ذكرها مطوياً إلى عهد الافرنج المعروفين بالصليبيين فذكروها باسم (أمجرا) وهي تحريف عين الجر كما سماها العرب وياقوت في معجمه^(٤). وزحف إليها بلدوين

(١) خلقيس اسم قنشرين قرب حلب واسم مدن وأنهر قديمة في بلاد اليونان وتركيا، وزعم بعضهم أنها زحلة والصحيح أنها عنجر كما رأيت (المؤلف).

(٢) يوسفوس، فلافيوس (ت ١٠٠ هـ / ٧١٨ م) له كتاب تاريخ يوسفوس اليهودي، المكتبة العرفية لصاحبها سليم صادر، بيروت (لا.ت) (المحقق).

(٣) أحد حكام روما الثلاثة مع قيصر وكراسيس (١٠٦ - ٤٨)، فتح سورية وجعلها إقليماً رومانياً، وبذلك تمكن من القضاء على الامبراطورية السلوقية التي خلفت الاسكندر عام ٦٤ ق.م. (المحقق).

(٤) ١٧٧/٤.

أربع على قدر حوافر الحصان يقال إنها دعوسات (دعسات) حصان الإمام علي لما جاء مدينة العنكبوت هذه أي يهود خبير وقد خرب سور المدينة الإمامان^(١) على بن أبي طالب وعمر بن الخطاب لأن سكان المدينة وثنيون ودمروا المدينة.

(اسم عنجر): إما (عين الجرة) بالعبرانية بمعنى عين الغريب لغرابية ينبوعها الدوري أو لنزول غرباء فيها. أو بالعربية بمعنى ينبوع المجرورة مياهه لسقي الأرض. أو لوجودها في سفح لأن الجرّ بالعربية كل ما غلظ في أسفل جبل أو لأنها كانت ترد بحصنها الغارات فسميت باسم (الغارة). وربما كانت أولى من كل ذلك إنه^(٢) كلمة فارسية (غَرا) أي الأبيض شيء، ويطلق خصوصاً على ضوء الشمس وهي عبادات هذه البقعة. وفيها هيكل للشمس آثاره باقية. أو إنها من كلمة (أنجرة) بمعنى المرساة مثل (أنقره) في آسية الصغرى وقد ظهرت عليها صورة مرساة.

أنجرا فينيقية بمعنى المرساة - وعنجرة قرية في شرق الأردن.

سنة ١٦٢٣م حدثت موقعة في نبع عنجر مع وزير الشام (مصطفى باشا) والأمير فخر الدين المعني فانكسر الأمراء إلى المجدل (أي مجدل عنجر) ثم انهزموا إلى التل، وتحصنوا في البرج الخرب الذي فيه (وهذا يدل على خراب قلعة عنجر) على من [خلافاً له] كان حصن اللبوة شمالي بعلبك عامراً منيعاً كما ذكر. (شدياق ٣٠٧).

ذكر العزيزي: أن الطريق من صيدا إلى مدينة مشغرا وهي أنزه بلد في تلك الناحية في

(١) جاءت كلمة الإمام من أم أي رئيس، وكانت تطلق بالأصل على الدليل الذي يقود القافلة. ومنه بات كل شخص يلعب دور الدليل أو القدوة إماماً. وترد في القرآن بمعاني الدليل والقدوة والمُشابه... ومنذ وقوع الخلاف بين المسلمين إثر وفاة الرسول، ظهرت هذه الكلمة للدلالة على الحكم، بينما كانت خلال حياته مقتصرة على إمامة الصلاة. ويخلع الشيعة لقب الإمام على علي بن أبي طالب الخليفة الراشدي الرابع، وكذلك على الأئمة المعصومين الأثني عشر. مقابل ذلك استعمل السُّنة لقب خليفة وأمير المؤمنين في العهد الراشدي وطوال العهدين الأموي والعباسي. راجع ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢، الصفحات: ٢٧٣ و ٣٣٦ و ٣٣٩ و ٣٤٢ و ٣٤٨ و ٣٤٩... (المحقق).

(٢) الأصوب أنها.

وادي في نهاية الحسن بين الأشجار والأنهار والمسافة ٢٤ ميلاً ومن مدينة مشغرا إلى مدينة تعرف بكامد (يريد كامد اللوز) قاعدة تلك البلاد قديماً ستة أميال ومن مدينة كامد إلى ضيعة تعرف (بعين الجر) ثمانية عشر ميلاً. ومن عين الجر إلى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلاً (تقويم البلدان).

وقال ابن خرداذبة في (المسالك والممالك): ومن أخذ من بعلبك إلى طبرية على طريق الدارج فمن بعلبك إلى عين الجر عشرون ميلاً وإلى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر. ومن قرعون إلى قرية يقال لها العيون تمضي إلى كفر ليلي عشرون ميلاً ومن قرعون إلى طبرية خمسة عشر ميلاً.

الآن من عنجر إلى دمشق على طريق العربات ٦٠ كيلو متراً وإذا سار بأقربه نحو ٤٠ كيلو متراً بالسيارة (الأوتوموبيل) ١٩٣٥ م.

والآن خربة عنجر قرب البركة إلى جنوبيها ولكن مجدل عنجر على بعد فوق تل وفوقه برج صغير خرب إلا بعض جدرانه القائمة.

وقد زرت عنجر متفقداً آثارها في ربيع سنة ١٩٢٩ م. فرأيت بركتها الجميلة، وحجارتها كبيرة أخذت رسمها وطبعته في تاريخ الأمير فخر الدين المعني سنة ١٩٣٥، وشبهت حجارة هذه البركة بحجارة في رأس العين في صور وقد رأيتها بعيني سنة ١٩٠٠.

عنجر Choleis

كلسيس عُرفت باسم قنسرين قرب حلب إلى جنوبيها الشرقي، وقنسرين سريانية بمعنى ذكر النسر. قال ياقوت الحموي (عين الجر) جبل بالشام من ناحية بعلبك.

والظاهر من سفر الملوك الثاني (٨: ٥-٨) أن داود أخذ من ملك صوبة نحاساً كثيراً جداً، كما في تسريح الأبصار للأب لامنس (٢: ٢٢٤). ويقال إن صوبة التي في سهل البقاع هي المدعوة (مات نحاس) في كتابات تل العمارنة التي سطرت سنة ١٥٠٠ ق.م ثم سُمّاها اليونان بعد ذلك كلسيس.

وكلسيس ومات نحاس هي عين الجر في أسفل الجبل الشرقي المقابل للبنان في فم الوادي الموصل منه إلى دمشق (وليس بصحيح قول بعضهم إنها رحلة). وهناك قرية تسمى (جرن النحاس) قريبا. ولقد ذكرت الكتابات المصرية والآشورية قبل التوراة النحاس الكثير في لبنان وجواره ومنها ٨٤ ألف كيلو من النحاس أخذها رمانيار الثالث ملك آشور من ملك دمشق وذكرت كتابة تحوتمس الثالث النحاس الاسيوي الذي جاء به فرعون مصر من (راتانو) وهي التي يسقيها الليطاني. ويحتمل أن الفينيقيين استخرجوا نحاسهم من أملاكهم في جزيرة قبرس أو من (لاسيا) أو (أصيا) الشهيرة بمعادنها النحاسية التي يُظن أنها على مصب العاصي.

وُجدت في عنجر نقود (دبس ٣٢٦: ٢ و ١٤٣: ٤) أو (كلسيس) وتلك النقود لأغريب الثاني الصغير أو الشاب تمييزاً له عن أغريب الأول والده. وعلى الوجه الأول منها (مثال مرساة ولعل منها اسم (انجرا) أي المرساة) وعلامة دالة على عشرة أي السنة العاشرة،

المتولوجية (الأساطير القديمة)

(عنجر) نبع الغزير بعنجر يبعد عن السور المتهدم كيلومتراً وعن المجدل العامرة على تلة قرب القصر ٣ كيلو متر وهو بركة على سفح الجبل لحصر المياه، وهناك آثار قناة ظاهرة لا تجري فيها المياه الآن لجر المياه إلى عنجر. وهذه البركة يفيض^(١) وتفيض حتى إنها تفيض خمس مرات بالنهار وقد يتأخر فيضانها ثلاثة أيام أحياناً.

عنجر البلدة^(٢) فيها سور آثاره ضخمة ظاهر فقط وبعض أعمدة مكسرة ومبعثرة على بعد كيلو مترين من المجدل إلى الشرق على ظهر بوسط السهل والمجدل على اليمين قائمة على التل. وسور عنجر بعرض ١٠ - ١٢ متراً متين وأكثر علوّ له (٣) أمتار.

وعلى بعد ألفي متر عن مدينة عنجر (نبع شمسين) يلتقي في أرض عنجر ويمر تحت جسر دير زينون (ذي النون) فنبع الغزير فيلتقي مع شمسين ويسيران إلى محل الجزيرة تحت المرج ويلتقيان مع الليطاني الملتقي مع البردوني (نهر رحلة) فتكوّن هذه الأنهر الثلاثة نهراً واحداً [نهر الليطاني].

وُجد في عنجر تمثال فخار ملآن نحو ١٥ سنتيمتر يمثل امرأة وتمثال شخص آخر من نحاس أسود (برونز أو شبه) أصغر منه يمثل رجلاً.

(١) الأصح أنها تفيض. (المحقق).

(٢) وضع المهندس والأكاديمي نبيل يوسف نجم كتاباً بعنوان: «عنجر المدينة الأموية، نظرة تاريخية ومعمارية وزخرفية»، عرض فيها تاريخ هذه المدينة في مراحلها المختلفة، وناقش فيه الكيفية التي تمت فيها عملية إعادة إعمار بعض معالمها الأثرية، وأظهر فيه مدى الأخطاء التي وقع فيها الفريق الهندسي الذي تولى القيام بهذه العملية، وضمّن كتابه الكثير من الخرائط والرسوم التخطيطية للآثار والبيانية للمدينة خلال عصورها، حدث هذا بعد قيامه بكشوفات ميدانية عدة على الموقع، راجع نبيل فؤاد نجم، عنجر، مكتبة نوفل، ٢٠٠٣ (المحقق).

ويرجح أن المراد السنة العاشرة من تاريخ كلشيس (عنجر) وهي ٥٥ م. وخلكس باليونانية النحاس وخلكيافس النحاس. ولعل عين (جر) أو (غر) عبرانية بمعنى الغريب. والجر بالعربية أسفل الجبل وكل ما غلظ في أسفل جبل فهو جرّ. وخلكيس (choleis) عاصمة أوبية تدعى الآن أغريب ومدينة في ايتومليا تدعى الآن غلطة. ذكرها اوميروس في الياذة. وخلكيس حمامات معدنية وهي قرب اثينة، قال ميسلن في سياحته المنشورة في مجلة الكوكب الشهرية (٤: ٣١): ونبع عنجر أغزر من نبع الليطاني وهو يصب فيه ويعبر على جسر دير زينون ولك من هذا النهر الغزير والاطلال التي حوله مشهد مدهش وهناك عاصمة السهل كلسيس التي تكلم عنها سترابون (١٦: ٣٥٣) وفي داخل المدينة حتى اليوم (أي زمن ميسلن وهو سنة ١٨٥٥ م) دائرة سور ومساحة المدينة نحو نصف ساعة وفيه بقايا أربعة أبواب وعليه ٣٢ برجاً مع عمد رخامية وحيوانية (أصواتنية^(١) أو شحم بلحم) وادام هياكل واحواض وآبار ونواويس متفرقة مبعثرة في سفح انتيلبان في بقعة صغيرة^(٢). وذكر يوسفوس (مجلد ١٤: ٣ و ٢) أن بومباي مرّ في ذهابه إلى دمشق بـكلسيس والامبراطور كلوديوس وهب هذه المدينة [إلى] هيرودس اغريب (يوسفوس ٢٠: ١ و ٧).

وذكر غليلوس السوري في تاريخه (ربما ١١: ١١) أن بودوين الرابع ملك الصليبيين هدمها سنة ١١٧٥ وكان اسمها اذ ذاك (عين غارا) وتدعى الآن عين قوبل. وهناك جدران متينة تشبه جدران رأس العين قرب صور تدل أن مياه نهر عنجر كانت محصورة لري السهول، والنبع الأصلي الأغزر ماءً متقطع يتغير مرات كثيرة في النهار ويدير عدة مطاحن وسكان تلك الناحية يعلقون عليه اعتقادات باطلة.

ومن وراء عنجر، بتدئ أودية أعالي انتيلبان المنعطفة، ومن ثم يصعد المسافر بجبال وعرة فيها قليل من العشب فيصل إلى عيبي (عيثا) والديماس وهما حقيرتان والأولى مشهورة بفخارها (أ. هـ) والثانية يقال فيها مثلاً (بعرفك من سرق الناس من الديماس).

(١) أسطوانية.

(٢) يلاحظ أن بعض الوصف الذي يقدمه المؤلف لعنجر هنا قد ورد بصيغة مختلفة قليلاً، وقد أثرنا الاحتفاظ به بالنظر إلى بعض الإضافات المهمة (المحقق).

كرك نوح

ومنها كرك نوح: كلمك بالأرمني قلعة، وباليونانية كلك، وبالعربي قلعة. و(الكرك) بالابدال. والكرك لفظة سريانية بمعنى الحصن أو المعقل وتسمى بالسريانية (كركو). ويقول العرب الكرخ أيضاً في تعريبها. وفي سورية ثلاث محلات تسمى الكرك (الأولى) في فلسطين و(الثانية) قرب طبرية و(الثالثة) بين دمشق وبعلبك في البقاع وهي هذه. وقال ياقوت الرومي في معجم البلدان: «الكرك قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام»^(١). وقال ابن حوقل: «كرك نوح قرية شرقي زحلة فيها قبر نوح وأيضاً قبر حبله ابنة نوح وهي قريبة من قرية تدعى عرجموش». وقال الدمشقي: قرب كرك نوح يوجد ينبوع يسمى (تنور الطوفان) لأن مياهه تخرج من الأرض صُعداً وقرب العين شجرة دلب ذات جذع وأغصان شامخة كبيرة، في الكرك قبر محفور بصخر طوله نحو ٥١ قدماً. وزارها أبو الفدا المؤرخ وذكرها في كتابه (المختصر في أخبار البشر) «ذاكراً أنه أراد زيارة القدس فخرج من حماة في ١٢ نيسان (آخر جمادي الأولى سنة ٧٢٨ هـ) الموافقة (٢) وجاء بارين فبعلبك فكرك نوح ومنها انحدر إلى الساحل ونزل بيروت وسار منها إلى صيداء وصور وعكا والقدس». وقال ابن بطوطة الرحالة: «وقصدنا منها (أي بيروت) زيارة إلى أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب وهو بموضع يُعرف بكرك نوح من بقاع العزيز وعليه زاوية يُطعم بها الوارد والصادر. ويقال إن السلطان صلاح الدين وقف عليها الأوقاف وقيل السلطان نور الدين، وكان من الصالحين، ويذكر أنه كان ينسج الحُصر ويقتات بثمرها». (أ. هـ). وهنا أورد قصة السلطان فراجعها في الرحلة المطبوعة في مصر (١: ٣٥) وقد أنكرها المقري في كتابه (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)^(٣).

(١) ٢٥٣-٢٥٢ / ٤.

(٢) الموافق عام ١٣٢٧ ميلادية (المحقق).

(٣) هناك التباس لدى ابن بطوطة في نصه عن مكان أبي يعقوب يوسف، إذ يتحدث عنه في كرك نوح، بينما الصواب أنه في قرية السلطان يعقوب التي لا تزال تحمل اسمه، وهي قرية تقع على رأس موقع جبلي في السلسلة الشرقية للبنان، وهي عامرة، وفيها مزاره إلى الآن يقصده الناس تبركاً، باعتباره عاش فيها من عمله في نسج الحُصر (المحقق).

وكانت الكرك محطاً لرجال كثير من العلماء الذين يتلقون علومهم فيها على علمائها الأعلام، ولزيارة الفضلاء والعظام مثل تيمورلنك وغيره. وكان في البلدة في سفح الجبل، هيكل روماني قديم فلم يبقَ له أثر. وبقيت الكرك عامرة إلى أن تحصن فيها الأمير يونس الحرفوشي في قبرنوح سنة ١٦٢٢ م بمائة من سكانه فحاصروهم الأمير فخر الدين المعني وقتل من الحرفوشيين نحو ٤٠ ومن رجاله خمسة واستولى على الكرك وأحرقها في اليوم الثاني حتى لم يبقَ فيها بيت، فخربت من ذلك الحين وصارت مغارس للكروم، ولما تملكها الأمير بشير الشهابي من الحرفوشيين سنة^(١) هدمها وبني بأنقاضها قصبة المعلقة.

وهي اليوم قرية صغيرة وفيها قبر نوح الذي رماه السلطان بيبرس البندقداري الملقب بالملك الظاهر لما حكم سنة ١٢٥٨ م وبقيت مدة عاصمة البقاع ولاسيما في زمن الحرافشة، ونبغ منها علماء كما سترى في باب المشاهير، وسكانها الحاليون نحو أربع مائة نسمة من الروم الكاثوليك والشيعة (المتأولة).

(الكرك ليست من جبل عامل)

قال صاحب الروضات: الكراجكني (الكراجكي) وغيره من علماء الإمامية إنهم عامليون وهم من (كرك نوح). وعبر عن الكرك أنها قرية من جبل عامل. (قلت) وذلك إما لجهله أو إنه نسبها إلى جبل عامل لكونه فيها وعلاقات الشعبين الدينية والسياسية.

(أقول) جبل عامل امتدت سواحله منبسطة من جنوبي طرشيحا قرب عكا إلى نهر الاولي شمالي صيدا مسافة ٦٥ كيلومتراً، وارتفعت جباله في شماليه حيث قنة جبل (تومات نيحا) فوق مشغرة (البقاع)...^(٢) لا ينزل ارتفاعها عن ألفي متر. وحدود جبل عامل الأربعة من (الجنوب) نهر القرن بجاري شمالي إلى البحر جنوب قرية الزيب قرب عكا. و(شمالاً) النهر المسمى بالاولي الذي يصب في البحر شمالي مدينة صيدا ومن (الغرب) البحر. ومن

(١) بياض في الأصل، يبدو أن الموقعة حدثت في العام ١٨١٢ في أعقاب سيطرة الأمير بشير على البقاع، أما توجيه أنقاضها إلى قصبة المعلقة «التي لم يكن فيها بيوت» لإعمارها فحدث في العام ١٨١٤ أو العام ١٨١٥، راجع: تاريخ رحلة للمؤرخ عيسى اسكندر المعلوف نفسه، ط ٣، ص ١٢٦ (المحقق).
(٢) كلمة غير مقروءة في الأصل.

(الشرق) طرف الاردن والخيطة والحولة إلى نهر الغجر ووادي... (١) وتسمى بلاد بشارة، ويقال: البشارتين القبليّة والشمالية وقاعدتهما (قلعة تبين).

وقد التحق بجبل لبنان قسم من بلاد بشارة مثل (قصبة جزين) وما حولها من القرى (جبل تومات نيحا) و(مشغرة). وبعض المؤرخين أوصل لبنان بعاملة ولم يفرق بينهما حيث قال إن لبنان هي السلسلة الجبلية بين عكا وطرابلس.

و(بلاد بشارة) سميت باسم بشارة. والذي يظهر لنا أن الروابط المذهبية أي الشيعة وروابط الادب والمدارس بين بلاد بعلبك والبقاع وبين جبل عامل هي التي حملت على عدّ الواحد من الآخر. وكانت الرحلة إلى العلم متبادلة بين البلاد حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة.

ودرس كثير من العاملين في مدارس بعلبك والكرك ومشغرة، وكان لهم صلات مع الأمراء الحرافشة أعظم الشيعة نفوذاً وهم حكام بعلبك والبقاع، وكثيراً ما كان [الطالب] يدرس في القطرين ليتم علمه. والتجأ كثير من سكان المقاطعتين إلى الحكام كالحرافشة والحمادية في بعلبك والبقاعين كآل الفضل وآل الصغير في جبل عامل.

وفي الرحلة البعلية التي قصد فيها الأمير عبد القادر الجزائري بعلبك سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) أنه رجع من بعلبك إلى فوق كرك نوح على تلّ الحمار، ومن هناك شاهدوا مناظر نهر البردوني وغياضه البديعة فقال بعض شعرائه فيها:

والنهر قد عشق الغصون ولم يزل أبداً يمثل شخصها في قلبه
حتى إذا فطن النسيم فجاءها من غيرة فأمالها عن قربه
وأتى عليه مهيمناً بعتابه سراً فجعّ وجهه من عتبه

(الصالحية): بين شمسين وعنجر على ضهر (تلة) في الوسط إلى جهة كفر زبد (في الجبلة)، وفي الصالحية قبور وآثار بيوت حديثة ووجد بعنجر درع وحربة قديمان.

(١) كلمة غير مقروءة في الأصل.

موندول في خزانة الجامعة الأميركية

طبع وحده في كتاب في ٢٨٢ من ثمن (ص. ١١٢) (بالإنكليزية).

Journey from Aleppo to Jerusalem at Easter. A. D 1697 by Henry

Maunbell, M. A. طبع لندن سنة ١٨١٠ مـصوّر.

بين صفحتي ١٨٠ و ١٨١ صورة بعلبك وأعمدتها كاملة وهيئة سورها وأعمدة هيكل الشمس العليا ثمانية فقط، ثم صورة ثانية يليها لداخل القلعة وتخطيطها (عدد ٢) مثل بعضهما. وثالثة لهيكل الشمس (باخوس) مواجهة النفيسة ص ١٨٢ ورابعة له وخامسة فيها تماثيل في المحراب وسادسة لتخطيط بعلبك وهيكلها من خارج.

ثم صورة كتابة يونانية ص ١٨٧.

وصف قصر فخر الدين صفحة ٥١ و ٥٢ وبعض أعماله في ما بعدها وهو مثل ما في المجموعة الثانية.

كلام عن البقاع

يقول كاتبه عيسى اسكندر المعلوف مؤلف (تاريخ سورية المجوفة) هذا: إنني كلفت لما كنت عضواً في المجمع العلمي بدمشق من سنة ١٩١٨ - ١٩٢٢ أن أصلح كتاب (وقف الوزير مصطفى لالا باشا) وزوجته فاطمة خاتون الذي ترجم عن التركية بإدارة وزارة الأوقاف بالشام وأصلح أغلاطه ولا سيما أسماء الأماكن والمدن والقرى فوجدت فيه أشياء عن بعلبك والبقاع، لأن مصطفى لالا باشا هو جد آل مردم بك في دمشق وجاء مع السلطان سليم الفاتح عام ١٥١٥ فأقطعه أماكن كثيرة في لبنان وفلسطين وحوران وما إليها. وكان الواقف على طبعه صديقي الكاتب الشاعر خليل بك مردم بك فطبع سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) في نحو ٣٠٠ صفحة بقطع النصف فراجع ما جاء عن كرك نوح وزحلة في الصفحات ٨٢ و ٨٤ و ٨٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٩٩ وعن بعلبك في الصفحات: ٨٣ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ والليطاني ١٣٠ و ١٦٧ وحزين ١١٦. هذا المجلد، أما المفصل عن الأماكن فهو الفيكة وصوغا ص ١٦٧، قلعة قب الياس ٣٨، عرجموش ١٦١،

مجلد عنجر، ١٣ (فاطمة) دير لابس ص. ١٦١، شليفة ص ١٦٦، كفرزبد ٨١، جديدة ييوس ٨١، مشغرة ٧٩، تل عجول قربها ٨٠، زحلة وضواحيها ٨٤ و ٨٥، أبلح ١٦٧ و ١٩٩ و ٢٠٠، المجلد (فاطمة) ص ١٣، وشوف البياض البقاع: ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ١٠٨ و ١٦٠ و ١٦١ و ٢٠٣ ووادي التيم ٧٨.

مشغرة

جاء في كتاب وقف مصطفى لالا باشا المذكور ص ٧٩ و ٨٠ ما نصه:

وجميع (الحمام) أرضاً وعمارة الكائن بقرية (مشغرة) من ناحية شوف البياض تابع دمشق المحروسة ويشتمل على مسلخ براني به بركة ماء ناهدة مبلط ما حولها بالبلاط اللاطون وغيره وبه مساطب أربع مستديرة مسقف ذلك بالخشب والعريض. ويتوصل من المسلخ المذكور إلى وسطاني يدخل إليه من باب ثم إلى بيت حرارة مبلط أرض ذلك به أجرة ذلك به مسقف ذلك بقباب بها جامات من زجاج وفي بيت الحرارة خزانة فيها قدرتان من نحاس مركبتان على أقميم مختص بالحمام المذكور. ويجري الماء إلى بركة الحمام المذكور وإلى خزانته وأجرانه من عين العربية من ماء مشغرة المذكورة، أبداً مستمراً ما جرى الماء، ولذلك مرتفق وأحواض وظهور ومساقط وأوساخ ومنافع وحقوق شرعية. ويغلق على الحمام باب خاص وعلى الأقميم باب خاص.

ويحد ذلك بكمالة من القبلة الدرب السالك إلى الحارة التحتا. ومن الشرق الدرب السالك وتمامه الدكاكين، ومن الشام (الشمال) الجامع الكبير وتمامه السوق والنهر الجاري إلى الطواحين. ومن الغرب الدرب السالك إلى الحارة الفوقا والحارة التحتا والعين. وهو أيضاً من أصول الأوقات المضبوطة المسوطة.

وجميع الحصة الشائعة وقدرها النصف ١٢ قيراطاً من أصل ٢٤ قيراطاً من جميع الطاحون (حانوت) دار الرحي الراكبة على نهر ليطا بأرض تل عجول بالقرب من أراضي مشغرة. ويشتمل كاملها على ثلاثة أحجار مطبقة معدة لطحن الغلال راكبة على ثلاثة أقيية ولذلك داخل وفناء وسكورة وإسطبل ومنافع وحقوق شرعية. وحدود أربعة من القبلة

الشقيف والنهر ومن الشرق أرض سليخة وأرض التل. ومن الشمال النهر وحاكورة التوت ومن الغرب النهر. وهي أيضاً من أصول الأوقاف المزبورة.

ومشغرة أو مشغرى قال ياقوت^(١): قرية من قرى دمشق ومن ناحية البقاع. وإليها ينسب بعض العلماء (سميت موصرة) ترى في باب المشاهير. وهي في وادٍ مفتوح إلى الشمال تحيطها الجبال من كل جهة.

قال القرماني في تاريخه المطبوع على الحجر صفحة ٤٨٩: مشغرا بليدة بأرض البقاع من أعمال دمشق ذات أنهار وأشجار. وقال ياقوت في معجم البلدان طبع مصر (٦٤:٨): مشغرى قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع ينسب إليها أبو الجهم المشغراني المتوفى بدمشق سنة ٣١٧ هـ (م)^(٢).

وفي كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية طبع مصر سنة (...)^(٣) (٢٥١:١) ما نصه: قال ابن أبي طي^(٤) «وظهر في (مشغرا) قرية من قرى دمشق رجل ادعى النبوة وكان من أهل المغرب وأظهر من التخايل التموهيات ما فتن به الناس واتبعه عالم عظيم من الفلاحين وأهل السواد وعصى على أهل دمشق ثم هرب من مشغرا في الليل وصار إلى بلد حلب وعاد إلى إفساد عقول الفلاحين بما يريهم من الشعبذة والتخايل وهوى امرأة على [مثل] ذلك وادّعت أيضاً النبوة».

وهي بلدة على سفح لبنان الشرقي من البقاع حسنة الموقع غزيرة المياه وافرة الأشجار وحتى إن بعضهم قال إنها تحريف (مشجرة) بمعنى كثرة الشجر. وقد تعب أهلها بترقيتها الزراعية. وفيها صناعات فاخرة أهمها الدباغة. ويربى فيها الحرير فيصادف نجاحاً مذكوراً ويكثر فيها شجر الجوز وثمره جيد لذيد، وكذلك العنب ودبسها فاخر.

(١) ١٣٤/٥ - ١٣٥

(٢) الموافق ٩٢٩ م.

(٣) بياض في الأصل. وهذا الكتاب لشهاب الدين المقدسي المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م (المحقق).

(٤) عالم بالأدب، من أهل حلب مات في آخر الكهولة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م. أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٨، لسان الميزان ٦ / ٢٦٣ (المحقق).

وفيه مزار النبي يوشع للمتاولة. وآثار عريض الرأس. وآثار دير صالح خراب. ومري (مريم) مزار.

وهي اليوم مقر مدير الناحية وسكانها أربعة آلاف نسمة. ثلاثة آلاف نصارى وألف شيعيون (متاولة) وعدد فرائضها التي تدفع الأموال هكذا النصارى عدد ٤٥٠ المتاولة عدد ٢٠٠ الجملة ٦٥٠.

ومياها كثيرة وهواؤها جاف غربي، وموقعها في سفح جبل متصل بتومات نيحا. وفيها ثمانية^(١) مطاحن وأرحتها عدد ١١. ومعظم سكانها كاثوليك والأرثوذكس نحو ٤٠ فريضة والموارنة نحو ٥ فرائض.

وقربها مزرعة ميدون وسكانها متاولة نحو عشرين نسمة وكان يستخرج منها الحديد سابقاً وفيها حراج من السنديان قديمة كثيرة وهناك آثار مسابك الحديد. وكان أهم حديد يستخرج من وادي السنديان إلى الغرب من لبنان (جزين) قبال تومات نيحا إلى الجنوب منها ومن التومات ينحدر السائر إلى جزين. ونيحا إلى شمال جزين الشرقي على بعد نحو ساعة وهناك قلعتها القديمة إلى الجنوب الغربي من نيحة^(٢) على تلة من الحجارة.

وخربة روحا: وهي قرية كانت قديماً من البقاع واليوم من قضاء راشيا، تبعد عن راشيا ثلاث ساعة، في الحضيض الشمالي للجبل الشرقي وقربها البيرة والرفيد وهما سوية على تلتين متقابلتين وهناك آثار قديمة. وقربهما كفردينس ومحيتة راشيا أيضاً وخربة روحا، سكانها كلهم مسلمون وهي أكبر من قرية الفرزل. على تلة في متوسط السهل تحديق بها غابات سنديان تشرف على ما حوالها مخصبة التربة غزيرة المياه. وفيها ينبوع ماء معدني وبقايا حجارة قديمة ضخمة عليها نقوش، وفيها عمود ضخم من المرمر (الشحم بلحم) وقربها نهر (أبو دجاجة) يطوف شتاءً فقط على الأرض.

وشتورة وهي كلمة يونانية (ستاورا) بمعنى مُصَلَّب (الطُرُق) أو قارعة أو من كلمة عشتروت أي الزهرة. واشتهرت منذ القديم بأنها محطة للمسافرين وكانت مقراً لتبديل خيول

(١) ثمانى.

(٢) نيحا.

العربات بين دمشق وبيروت منذ أنشئت سكنتها سنة ١٨٦٠ م إلى أن سار القطار الحديدي فتوقف نجاحها [و] خربت بعد أن نالت عزاً وفلاحاً مهماً.

تبعد الآن نحو ساعة عن معلقة زحلة ومعدل ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٩٢٠ متراً وعدد سكانها نحو مائتي نسمة ومساحة أرضها نحو ١٥٠٠ دونم والدونم (١٦٠٠ ذراع مربع) وأهم حاصلاتها العنب يعدل ريعه بنحو ألف وخمسمائة قنطار وفيها الحرير والبطاطا الجيدة وأرضها زراعية للحبوب وبساتينها نضرة ومياهها وافرة.

أنشأ فيها سليم أفندي بولاد الدمشقي معملاً لاستقطار الخمر سنة ١٨٧٨ م على طرز بديع فاستخرج به جميع أنواع الخمور وألوانها وعرضت في معرض باريس سنة ١٨٨٩ م فأحرز صاحبها النوط (المداية) الفضية منه. وفي معرض شيكاغو سنة ١٩٢٢ فنال مثل ذلك منه أيضاً. (باع بولاد أرضه هذه نحو سنة ١٩٢٣ م).

وفيها معمل المسيو برون الفرنسي لم يبلغ إتقان معمل بولاد و(معمل للخواجة فرنسيس برون الفرنسي).

و(عميق): عبرانية بمعنى (عميق) وسمي البقاع (بحيرة عميق) في تاريخ أبي الفداء المؤرخ الحموي المتوفي في سنة (هـ) (م) (١).

وفي أواخر سنة ١٨٩٥ م تمّ نجيب بك يوسف سرسق من بيروت تجفيف غاب عميق المستنقع المشهور الذي كان يث جراثيم الوبالة (الملاريا) في البقاع وبعلمك وما يجاورهما وذلك بلجنة مهندسين اختصاصيين^(٢) فأظهر مساحة أربعة آلاف دونم كانت تغمرها المياه فصارت صالحة للزراعة وقد أنفق أكثر من مائة ألف ليرة على هذا المشروع المفيد.

(١) توفي أبو الفداء الحموي (عماد الدين إسماعيل) سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م. وهو صاحب كتاب «المختصر في أخبار البشر»، طبع في المطبعة الحسينية في القاهرة سنة ١٩٠٧ وهو أربعة أجزاء في مجلدين (المحقق).

(٢) الأصح بواسطة مهندسين اختصاصيين، وهو ما أدى إلى حفر عدة أنهر في سهل عميق لجر مياه المستنقع إلى نهر الليطاني، وأبرز هذه الأنهر نهر الرياشي و سبيرو باسمي مهندسيهما، وكلاهما يجفان صيفاً. (المحقق).

[تربل]: ربما تل آبل أي تل المرج ثم أبدل إلى تربل أو طور آبل أي جبل المرج وقد يمكن أن يكون دير (بعل) أحد مثلث البابليين فليل دربل ثم تربل ودربل في راشية.

وتربل هي على ما نرجح مستعمرة من طرابلس الشام حيث جبل تربل تحريف طرابلس أي ثلاث مدن ولعلها بزمن الأيطوريين الممتدين إلى تلك النواحي، وفي كنيسة تربل حجر عادي موشح كأنه أسود مربع بعلو نحو متر وعرض نحو نصف متر أو أقل. وعلى كل وجه من جهاته تمثال ناتئ، ولكن وجه إحدى الجهات بتمثالين فوق بعضهما نصفين والآخر [من] الثلاثة جسم كامل يمثل رجالاً ونساءً.

وفي البلدة رؤوس أعمدة (تيجان) كورنثية رومانية ووجدوا فيها في مغارة أكثر من ثلاثمائة سراج خزفي ونقود كثيرة. وهناك معاصر زيت قديمة وفيها نبع رأس العين من الجبيلي يسقي تربل. ووجد في التل إلى شرقي البلدة التمثال الموجود بالكنيسة، ووجدت حجارة منقوشة صفراء على شكل بعلبك ونواويس وسرج ومغاور. وفيها كلها آثار أساسات حجرية منحوتة وضخمة ومعاصر زيتون ودائماً تظهر حجارة. وإلى الآن توجد ثلاث محلات هي تربل القديمة، تلة محلة القصر ومحل البلد ومحل حقل الرّجم وربما سميت (تريبولي) أي ثلاث مدن ومساحتها كبيرة تؤيد هذا. وحيثما حفر ظهرت مياه عذبة آباراً^(١). وحول القرية ينابيع منها (رأس العين) إلى الشرق في سفح الجبل الشرقي. (نبع الفاعور) على طريق (كفر زيد) على آخر (الجبلة) للجنوب فوق النبع على بُعد نحو مائتي متر في آخر قمة (الجبلة) قصر ضخمة الحجارة وحوله آبار وأخربة (وتماثيل) على حجارة.

بريتان: الأرجح أنها تحريف (بيت روتان) نسبة إلى الروتانيين إخوة الآراميين سكان هذه البلاد قبل الحثيين والآراميين، ولللسكان رواية غريبة في تسميتها (بلو) (تار) أي البلاء حاج فيها - وفوقها تل النبي صالح ويسمى قبلاً - تل (المنير) إلى الجنوبي بشرق، وقبلته (تل الزبيبة) فيه مغارة. والأول عليه آثار وللنبي صالح مقام يزار. وفيها مغاور وقبور وفي مغارة قديمة في وسط القرية إلى الجنوب كتابة قديمة، ومنها إلى شرقي (بريتال) على بعد ساعة ونصف (عين البنية) غزيرة المياه خربت سنة ١٩١٧ بموقعة بين سكان بريتان والعسكر

(١) وردت هكذا والصواب و«حيثما حفرت ظهرت آبار مياه عذبة». (المحقق)

التركي وذلك بزم من الحصاد في حزيران. (راجع حوادث هذه السنة في آخر الكتاب). وهناك حصن (سباط) قائم خرب إلى شرقي بريتان بينها وبين عين البنية. وفي عين البنية صورة قرد (سعدان) على صخر، وإلى شرقي بريتان خربة (القفصية) وعينها (ينبوعها) أجمل ينبوع وآثارها قديمة ضخمة الحجارة. وإلى شمالي القفصية قرية (مُخَنَّا) وفيها آثار قديمة. وإلى شرقي بريتان بجنوب على بعد ساعة خربة (فَقْدَانَه). وكان فيها بيت إسماعيل سكان بريتان اليوم وأصلهم من الحجاز وجدّهم الحسين بن النُمير وسمّوا (المقدانة) قيل لأنهم من مقدّانة وقيل (المقادمة) لتقدمهم [المبكر] إذ جاؤوا مع الصحابة للفتوح. ثم عرفوا ببيت إسماعيل نسبة إلى جدّهم إسماعيل. ولما خربت (مُقدّانة) رحلوا إلى بريتان وسكنوا فيها فكل القرية الآن منهم وهم نحو ألفي نسمة يسكنون نحو ٥٠٠ منزل ومن قدامهم اشتهر (مرعي المقداني) أمسكوه مع إخوته الخمسة لأن الحرافشة دعوهم إلى بعلبك بتدبير بيت المعلوف وساقوا مرعي إلى الشام مع ولده حسن وإخوته فقطعت الحكومة رؤوسهم فقال أقاربهُ على الصهجة (الدبكة) حين أمسك:

يا حَيْفَ مرعي سارا سافر مع الهـوَّار
كُنْها رِبْعُهُ حُدُّهُ ما كان مرعي سارا

ولا تزال أبنية (مقدانة) قائمة وهي اليوم من أرض حورتعلا. وربما كان الجد إسماعيل الذي اشتهر هو أخ مرعي هذا. (وقد ذكرت حادثة مرعي وقلته في كتابي دواني القطوف، صفحة ٢١٧ من الطبعة الأولى فراجع) وكان ذلك سنة ١٧٨٢ م (١١٩٧ هـ). وقال مسبيرو المؤرخ الفرنسي في تاريخه (شعوب المشرق): إن المصريين جلبوا لصوصاً من الصعيد إلى بريتان لقطع الطريق على المارة ولا تزال هذه القرية (ملصّة) أي محل لصوص.

حورتعلا: نحو خمسين بيتاً من بيت المصري وهم عيلة فيها من مصر ومنهم ملحم قاسم المعروف بالحوادث الأخيرة. وقيل هم من أنسباء بني المصري الدروز في صليما وحواران فتشيعت منهم هذه الفرقة.

النبي شيت: قال شنلي برحلته ما تعريبهُ عن الإنكليزية: «جاء النبي شيت إلى هذه البقعة لينذر العالم ببطلان عبادة البقر فقتلوه وركبته مطويتان إلى فخذيه وطول قبره ستون قدماً

وكان يجب أن يكون أطول عشرين قدماً لولا طيّ ركبته، أي كان يجب أن يكون طول جثته ٨٠ قدماً».

نوح: قال شنلي المار ذكره أعلاه ما تعريبه: ونوح مقابل (شيت) مات طبيعياً وقبره ١٢٠ قدماً طويلاً وقدمه بقيت في بئر.

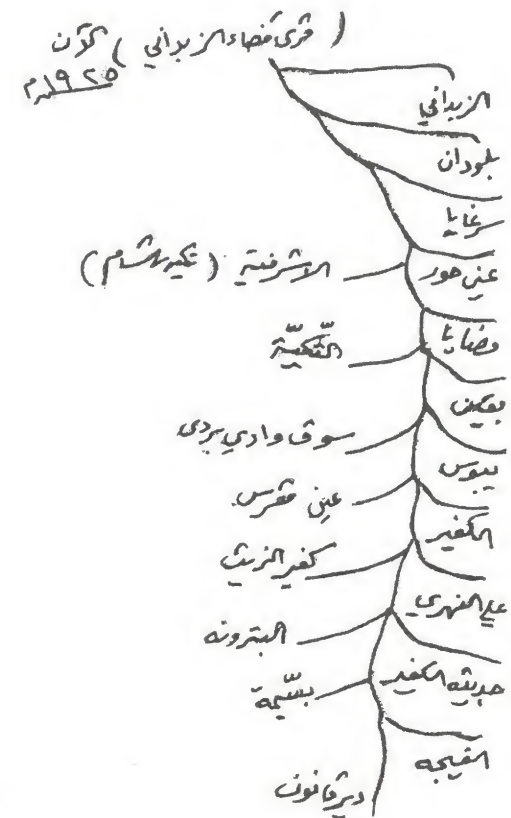
و(الهرمل): وهي قرية قديمة واقعة على منعطف لبنان الشرقي من الجبل الغربي. وموقعها في بطحاء خضراء غزيرة المياه نضيرة الشجر. وبقرها وجدت صفيحتان مكتوبتان بالآشورية.

وهناك آثار بناء قديم. وعلى مقربة منها برج شائق ويسمون مسلة الهرمل (القاموع) باللغة الدارجة و(قائم الهرمل) باللغة الفصحى.

سكانها نحو ١٥٠٠ شيعي ونحو ٥٠ ماروني وزعماؤها المشايخ آل حمادة.

(فوائد عن وادي الزبداني)

الزبداني تسمى مدينة يوحنا (لعلها من يوحنا ابن^(١) زبدي)



خريطة قرى قضاء الزبداني

الزبداني وضواحيها: ربما كان اسمها من الزبد أو نسبة إلى زبدي أحد قواد زنوبيا ملكة تدمر كما تفيد ذلك كتابة في متحفنا العربي في دمشق أو إنها فارسية (سيب) رائحة (وستان أو دان) بمعنى محل فالمعنى محل الرائحة لتفاحها الجميل.

فسهل الزبداني على بعد نحو ٣٠ كيلو متراً من دمشق وهو فسيح خصيب مساحته نحو ٧٥ كيلو متراً مربعاً عدا سفوح الجبال المحيطة به، وهي كثيرة واسعة فهو منبسط بين جبلين عاليين.

وتربته خصيبة كثيرة الهوالك والمتحجرات من أشجار وحيوانات قديمة ولعل نوءاً في أحد العصور الجيولوجية اقتلع الأشجار التي كانت كثيرة على المشارف وفي الإسناد والسفوح وألقاها في الوادي ركماً ثم غطاها التراب أجيالاً فتحجرت. ولذلك يعد هذا السهل ثاني الغوطة في خصبه ووفرة مياهه وكثرة بساتينه ومزارعه ومباقله. وجامع الزبداني الكبير يسمى محله كنيسة العظماء وهناك آثار فسيفساء.

وفي متحفنا العربي بدمشق بلاطة بيضاء ضاربة إلى السمرة وجدت في الزبداني عند مد الخط الحديدي بين بيروت ودمشق عليها اسم القائد (زبدي) قائد زينب [زنوبيا] ملكة تدمر فلعلها نسبت إليه.

ومن حاصلات هذه البقعة التفاح والخوخ والسفرجل والنجاص والجوز واللوز والبندق والتين والعنب. ومنها أحسن أنواع الخضروات والبقول. وكذلك البطيخ والبطاطا ونحوها.

قال ميسلن: في الزبداني كما في دمشق ربيع دائم رغم علوها البالغ أربعة آلاف قدم عن سطح البحر وهواؤها جميل من أحسن قرى سورية منبسطة في وسط جنائن الأثمار، وفيها التفاح والتوت والكرم وعلى مجاريها الحور الباسق حتى الغمام. والجبال الواقعة غربي بردى جرداء لا عشب فيها. يطل سفحها على نبع بردى المرتفع ثلاثة أرباع الساعة عن الزبداني وتصب فيه عين الفوراء بأقل غزارة منه، وهي على ميلين من الزبداني على طريق بعلبك وتتجمع مياهه ببردى في سهول الزبداني. الجبال التي تحديق بهذا السهل هي جرداء الآن، ولكن كانت قديماً مثل جميع الجبال مغطاة بالأشجار الضخمة.

(نبح بردى): منبعه بين الزبداني والبترونة والبركة تبعد عن سَند (باط)^(١) الجبل نحو ٥٠٠ متر وهي إلى الجنوب الغربي من الزبداني على بُعد ساعتين، نحو ١٠ كيلو متر وهي بركة تخرج من الأرض بطول نحو ٥٠ متراً بنحو مثلها وأسسها القديمة فيها عمار جدران ومنها يسير إلى الثانية. ويسمى (رأس نبح بردى) والبركة تسمى (بركة الوسطى) كأنها معمرة وهي عميقة وفيها سمك كبير، وأما مياهه فينبع منه (نهر بردى) ومخرجه من الطرف الجنوبي الغربي ينبجس من حوض في الجبل الغربي منه في وسطه هوة عميقة يتعذر النزول إليها. وهو يكون بركة عميقة محيطها نحو ثلاثمائة متر ومياهها صافية عذبة جميلة المنظر وفيها يعيش سمك كبير هو أفضل سمك يصطاد من نهر بردى.

وفي شرقي هذه البركة أو البحيرة الصغيرة وسط النهر آثار جدار يدل على أنه كان جدار معبد قديم لإله الأنهر ولذلك تجد معظم البيوت تتجه إليه لإكرامه على عادة تلك العصور في تكريم الآلهة وتقديسها.

معادنه: في الزبداني وضواحيها معادن الحديد والنحاس والرصاص على ما يقال. (الزبداني) قال ميسلن: وجبال هذا السهل الشرقية تطل على لبنان إنتيلبنان، وتبين كل قمم جباله من أعلى جبل الشيخ حتى ذرى المكمل وفي ٢٧ نيسان ١٨٥٥ الموافق يوم مروري من هناك كانت كلها مغطاة بالثلوج.

الزبداني مدينة يوحنا بن هلال مقدم الزبداني، ولعل أبا المكارم بن هلال الذي بنى مسجد بني ملهم بقبة عند الديلميات كما ذكر ابن عساكر نسيه.

سكانه: كان في ذلك السهل قوم يدعون (زبدین) ويقال إنهم كانوا غير خاضعين للرومان كل الخضوع.

وفي متحف دمشق حجر مكتوب عليه كتابة تدمرية منها اسم (الأمير زبدى الزبداني) مما يدل على أن البلد نسب إليه وذكرت المشرق (١: ٦٣٨) أن (زبدى) كان كبير قواد هروديس بن أذينة ملك تدمر و(زبای) زعيم فرسانه. وكان زبدى وزبای من آل سبتية من قرابة أذينة.

(١) المقصود بباط الجبل: سفحه، وهو تعبير شائع في البقاع وسواه (المحقق).

قراه: في سهل الزبداني مع سهل سرغايا ثماني عشرة قرية خربة وثمانى قرى عامرة، فمن قراه العامرة: الزبداني: هي قصبة عامرة كبيرة موقعها في طرف ذلك السهل الشمالي واسمها ينتهي (بدان) ومثلها مكانان آخران وهما (عبدان) و(بلودان).

وتجارة الزبداني عظيمة في الحبوب والفواكه والبطاطه.

ولها معاملات تجارية مع المدن أخصها دمشق وبيروت وحمص وحماء وحلب. ولما مرت فيها السكة الحديدية نجحت تجارتها وسهلت مواصلاتها ووجد عند حفر الطرق للسكة الحديدية الحجر، [وهو الآن] في متحف دمشق وعليه اسم زيدا قائد زينب [زنوبيا] ملكة تدمر.

بلودان: تعلق ٤٥٠٠ قدم عن البحر جاءها نحو سنة ١٨٥٧ م ثلاثة من أفاضل الإنكليز والأميركان فبنوا فيها مصايف، والمصايف بعد هذا فيها، منهم السنيور ورتشر وود وحارته الآن بيد الدكتور روكستوك الإنكليزي في مستشفى الشام. قال ميسلن: وزرت بلودان ورقدت في بيت المستر وود (Wood) فنصل الإنكليز في الشام، وهو على ثلاثة أرباع الساعة من الزبداني وفصل الصيف جميل جداً هنا. وجودة مناخها ونقاوة هوائها وبلالة نسيمها وعذوبة مياهها وفسحة بسطتها تزيدها رونقاً وجمالاً، وحول بلودان ركام كأنها أفق من هياكل مسيحية وسكانها اليوم مسلمون (كذا)، وفوقها على مسافة ستة آلاف وثمانمائة قدم لنحو الشمال الشرقي جبل بلودان.

عين حليا والهلالية: ومنها عين حليه إلى الشمال الغربي من سرغايا ولها حكاية غريبة في سببه، وبعد أن خربت عين حليا تفرق سكانها وهم طائفتان هلالية وعناحلة. فالهلالية أقاموا في بلودان إلى يومنا ومنهم من أقام في بشرة ولبنان^(١). والعناحلة في راشيا ثم في دمشق وبعض الجهات.

(١) المقصود بشري في شمال لبنان، أما لبنان كمصطلح فلم يكن قد ظهر بعد، وكان يطلق اسم جبل لبنان على المنطقة التي يسكنها الموارنة، وهي المنطقة الممتدة بين بشري والبترون وكسروان والمتن. بينما كانت مناطق عاليه والشوف والإقليم يطلق عليها اسم الجبل أو جبل الدروز أو إمارة جبل الدروز. راجع المناقشة التي يقيمها المؤرخ أحمد بيضون مع المؤرخين اللبنانيين حول اسم لبنان وجبل لبنان في كتابه: الصراع على تاريخ لبنان، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٩ ص ٤٧ وما يليها (المحقق).

ومن قراه الخربة: هناك أخربة كثيرة ففي جوار السهل إلى الشمال خربة بطبيل أو بتبيل كأنها منحوتة من بيت و(بيل) اسم إله. وربما كانت بلودان مركبة من كلمتين (بيل) و(دان) أي محل بيل. ومنها (الكبره) ولها عين باسمها تسمى عين الكبره في سفح تل كانت فيه أشجار سنديان قديمة تؤلف غاباً كثيفاً فقطعه الأتراك في زمن الحرب ١٩١٤ - ١٩١٨. وكان الأهليون يخافون قطعه نظراً لولية تحميه تسمى (ستّي عرجا) ^(١) أو (أم الشقاقيف). وعلى التل آثار معبد من عهد عبادة إله الأحرار. ويجب على كل من يزوره من السكان أن يكسر فيه إناء خزفياً فلذلك سمي (أم الشقاقيف).

ثم (التكيّة) وفيها المحطة وهي بيوت صغيرة لا أهمية لها إلى شمالي المحطة وعلى يسارك بيوت شركة التنوير الكهربائي وتمشية الترامواي الدمشقي المستمدة القوة من شلال بردى في هذه القرية وفيها قوة. وقرب المحطة الحديدية قطعة العمود وصخر أبيض وأسمر عليه كتابات رومانية.

وإلى يمينك وأنت في التكيّة قرية (البطرونة) في سفح جبل الزبداني جيدة الموقع تشرف على سهل الزبداني وواديه الخصيب وأمام التكيّة يأخذ الجبلان بالانفراج. وهناك يخترق القطار نفقاً صغيراً لا يكاد يذكر تحت صخر ضخّم ثم إلى شماليه (مغاوير التكيّة) الكثيرة وليست ذات شأن.

ثم تصل إلى محطة (سوق وادي بردى) وهي صغيرة. وأما القرية فأسفل المحطة في الوادي وقبلها بقليل إلى شمالي المسافرين مغاور وتماثيل أشخاص قرب أبوابها ناتئة بديعة وهناك طريق مخروقة قديماً وكتابات وأقنية وتلول من عظام أناس وكتابات تدل على أشياء مهمة في خروق في الجبل لمرور قناة الماء المجرورة كما يروي العامة إلى تدمر.

وفوق (السوق) مزار النبي هاويل على ربوة عالية وشيدت عليه القديسة هيلانة كنيسة ثم سقطت بزلزلة ونحوها في الوادي.

ثم إلى شمالك (الكفر) قرية.

و(برهليّه) مثلها.

(١) يبدو أن هذه الولية المحلية هي من بقايا الآلهة القديمة المكلفة بحماية الغابات (المحقّق).

إلى أن تصل إلى موقف (دير قانون) ^(١) والقرية على يمينك أي إلى جنوبي الموقف. وربما كانت ديراً للقديس قونن فحرّف إلى قانون ومثل هذه القرية من وادي العجم، وفيها آثار قديمة (بهذا الاسم) وهي على حدود أول حوران ^(٢) وقربها دير مآكر فيها مقابر قديمة وقبالتها كناكر وبينهما أي مآكر وكناكر واد وكلها من حوران. والقديس قونن استشهد سنة ٢٧٥ م. يعيّد له في الخامس من شهر آذار، واللاتين يعيدون له في ٢٩ أيار. وقرية دير قانون (هذه) في سفح تلة فيها مغاور جميلة.

ويقابل دير قانون هذه إلى شمالك لجهة الشمال أيضاً (كُفَيْر الزيت) على تلة يكثر الزيتون حولها فنسبت إليه.

(١) وإلى الجنوب من (دير قانون) على خط متجه إلى دمشق أي إلى الشرق الجنوبي (مطرونة) وهي خراب ولعلها فاطر بن المغيرة. ثم المنشار قبالة الربوة حذاء دمشق. ثم (داريا) المشهورة بعنبتها. (المؤلف).

ومما يجدر ذكره أن في لبنان بلدة تدعى دير قانون النهر نسبة إلى نهر الليطاني الذي يعبر قربها في قضاء صور، والمعروف أن هذا النهر يدعى القاسمية جنوباً (المحقّق).
(٢) حوران بالفتح، وصفها ياقوت بأنها كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار، وما زالت منازل العرب، وذكرها في أشعارهم كثير، وقصبتها بصرى، قال امرؤ القيس:

ولما بدت حوران والآل دونها / نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا.

وقد فتحت صلحاً قبل مدينة دمشق. راجع: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٧ - ٣١٨. وتقع حوران جغرافياً بين دمشق شمالاً ومنخفض وادي اليرموك وجبال عجلون ومنخفض الأزرق ووادي السرحان جنوباً وجنوباً شرقاً، وتمتد منطقة حوران بين سفوح جبل الشيخ الشرقية ومرتفعات الجولان المشرفة على وادي الأردن إلى الجنوب والجنوب الغربي من جهة، ومنطقة الحماد والصفاء من بادية الشرق مروراً بجبال حوران من الشرق من جهة ثانية. وتعتبر بمثابة بوابة الهجرات والقوافل التجارية القادمة من الجزيرة العربية واليمن نحو الهلال الخصيب. وقد استوطنها الآراميون والأنباط والصفويون والغساسنة. وتردد عليها العرب قبل الإسلام، وعثر فيها على أقدم النصوص المكتوبة بالعربية. درستها العديد من البعثات الأثرية الألمانية والإنكليزية والروسية والفرنسية، وأصدر المعهد الفرنسي لعلم الآثار في الشرق الأدنى عدة مجلدات عن حصيلة هذه الأبحاث التي تم بعضها بإشراف ج. م. دانتزر. وصدرت ترجمة العديد من هذه الأبحاث بالعربية بعنوان «سوريا الجنوبية - حوران» عن دار الأهالي في دمشق العام ١٩٨٨ (المحقّق).

وإلى شماليك^(١) بعد ذلك دير مقرن مشهورة برمانها. وإليها نسب بعض العلماء ذكر منهم الشمس محمد بن الدير مقرني الدمشقي في رسالته (نبذة فيما قيل في المزة) لشهاب أحمد بن أبي طالب الدير مقرني. وذكر في محل آخر أبا حفص عمر بن طبرزو الدارقرني (ولعلها الدير مقرني) أو خففتها العامة هكذا.

ثم موقف (الفيجة) والقرية على اليسار وفيها آثار قديمة واسمها يوناني بمعنى (الينوع) من (بيجه) وتنجس مياهها من جنوبي زاوية المعبد الذي كان على الأرجح قديماً [معبدًا] للشمس واليوم صار كنيسة خربة. ويقال إنه من بناء يستنيانوس مثل هيكل بعلبك وليس قائم منه إلا واجهته حتى العتبة مربع الشكل وحجارته مبشرة. وقال الاصطخري في كتابه الأقاليم^(٢) ومخرج مائها (الغوطة) من تحت كنيسة يقال لها الفيجة وهو أول ما يخرج يكون ارتفاعه ذراع في عرض باع ثم يجري في شعب تتفجر منها العيون فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بن معاوية بعرض نهر دجلة ثم ينتظم منه نهر المزة ونهر القناة ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له الينوب ويقال إن المياه المنبجسة من الفيجة تؤلف ثلثي النهر والثلث من بردى.

وإلى الجنوب من (دير قانون) على خط متجه إلى دمشق أي إلى الشرق الجنوبي (مطرونة) وهي خراب ولعلها ماطرون المذكورة في شعر ابن المنير^(٣) أو أنها تحريف مطرونة وهي قديسة من تسالونيكية يعيد لها في ٢٧ آذار من أهل القرن الخامس والسادس للمسيح واللاتين في ٥ آذار. ثم المنشار قبالة الربوة.

(١) شمالك.

(٢) هو أبو اسحق إبراهيم بن محمد (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) كتابه مسالك الممالك، طبع في طهران ١٩٢٧ (المحقق).

(٣) هو أحمد بن منير الطرابلسي ٤٧٣-٥٤٨هـ / ١٠٨٠-١١٥٣م. شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام. ولد فيها ولم يغادرها إلا بعد حصارها من جانب الصليبيين، توفي في حلب ودفن في جبل جوشن، وفيات الأعيان ٤٩: ١ والروضتين ١: ٩١ والنجوم الزاهرة ٥: ٢٩٩. له ديوان شعر مطبوع حققه ونشره المؤرخ عبد السلام التدمري (المحقق).

(كفر عامر): قرية هي الآن خربة على سفح جبل الزبداني إلى الشمال مقابل بلودان مرّ عليها راهب منذ نحو (خمسة قرون) وقال إنه قصدها للاطلاع على مكتبتها الثمينة. ومن كفر عامر سار بنو الرفاعي وهم من بني المدد من أم عبيدة من محمد السبسي وبعضهم الصيادي والحريري والجندي. وبني القرية جدهم فترك كفر عامر هذه هو وأخواه إلى دمشق ويعرفون فيها بيت صالح المدد أو آل الزبداني. و [توجه فرع] آخر إلى دقون فوق عكاء ويقال لهم آل المدد. وإلى حوران الثالث قرب بصرى ويسمّون آل الزبداني. فيها آثار قنطرة قديمة وحجارة ضخمة. وبخراج الزبداني قبور ومغاور وقطع فخار وفيها اليوم كروم وتين وسفرجل، [وهي] ذات نبوع نحو أربعة منها عين الطنطاني وعين حية وعين حيدر قليلة المياه لكنها عذبة.

(الفيجة): يسمى نبعها ميسلن (فرفر) ومشهور أن فرفر هو الأعوج. وقال إنه نبع الخيرات لخصبه وعادياته. والفيجة أغزر من بردى ويصب فيه من شلال على علو مائة قدم وله مجارٍ وأفنية منحوتة بالصخر حتى تدمر وآثارها إلى اليوم. وتبتدئ الأفنية مسافة نصف ميل عن الينوب بقرب وادي بسيمة على ضفة بردى الشمالية وسعتها قدمان وعلوها خمسة أقدام تمر في الجبل وتنتهي في السهل على بعد ثماني ساعات وتنسب إلى زينب [زنوبيا] الملكة. وفي أجيال الكنيسة الأولى كانت للمسيحيين كنيسة قرب نبع الفيجة كانت قبلاً هيكلًا للعرش وآثارها من أبواب ونوافذ وجدر وأعمدة وكتابة يونانية غير مقروءة لم تزل إلى اليوم.

وقرية الفيجة عريقة وأهلها اليوم مسلمون ويؤمنها الدمشقيون أو أن الكرز وهو نادر في الشرق ويكثر فيها. وعلى عهد السلطان المملوك أخذ الكرز^(١) إلى مصر.

(دير قانون) إلى شمالي الذهاب من زحلة إلى دمشق على تل القرية قبله كثير من الرمان البديع على الشمال.

(١) أول شجرة كرز أخذها إلى أوروبا ليكونوس القنصل الروماني كانت من كرازيا مدينة في آسيا الصغرى فوضعت كلمتها واللاتينية cerisus وبالفرنسية cerise (المؤلف).

قبل (دير قانون) قرية (كفر زيتا) على تل أعلى، [ثم] وهدة صغيرة على الشمال أيضاً. من دير قانون إلى الفيحة تظلل النهر أشجار كثيفة بديعة المنظر. قبل محطة الفيحة بقليل يتجه نهر الفيحة ببردی إلى اليسار. [بينما] السكة الحديدية إلى اليمين.

بعد الفيحة إلى يسار الذهاب، صخور هائلة وطبقات جولوجية مبعثرة غريبة الوضع والشكل والمناظر ذات تضاريس بعض الجهات.

(الربوة) قال ميسلن: فيها جعل الناصر ملك المسلمين مقامه وهي جميلة كالعمارة (الأسطول) في البحر.

وقال ميسلن: ومن الجبل الشرقي طريق للقوافل تمر في وادي البقاع [ومن] بيروت وهي قصيرة على مسافة يوم من الزبداني إلى بعلبك.

ومن شمالي الزبداني تأخذ الطريق بالارتفاع حتى نبع بردی تقطع مياهه مراراً. والأراضي حولها غير محروثة ولا مأهولة وترتبتها [جيدة] وبالقرب من عين العوراء مزار النبي شيت، وعلى زعمهم أن هناك قبر أولاد آدم وعليه قبة وطوله أربعون ذراعاً.

وهنا تنقسم مياه بردی فتجري منها قناة إلى الشمال مع أن مجراه الأصلي إلى الجنوب، والقناة الشمالية تمر بسرغايا وأهلها متاولة (غلط). وفي هذه الأودية حتى اليوم أنقاض بنايات عظيمة وآثار مدن غير معروفة.

ونهر معربون يجري عبر ذلك الوادي وهو شعبة من [الليطاني].

سوق وادي بردی

عن ميسلن ٤: ٦٤٣ وفي أعلى الوادي (وادي الفيحة) على ساعة سوق وادي بردی وهي وبعض القرى مبنية على أنقاض (آبلا) وللمسلمين على الجبل المحاذي مزار يسمى النبي (هايل) لزعمهم أن هناك قبر هايل، ومنهم من يقول إنه على جبل قاسيون. ومنهم على جبل حبرون. قال القديس اجرونيوس نقلاً عن التواريخ العبرية إن هايل قتل بجوار دمشق حيث ترى عدة مواضع تسمى باسمه وخرائب (آبلا) على مضيق الوادي. وقال بوتنجر المؤرخ في دليله: إن خرائب آبلا تبعد ٣٨ ميلاً عن دمشق و٣٢ عن بعلبك. وعاصمة أبيلان

Abulene القديمة سميت أيضاً Abuleyssmie لتمييزها عن غيرها من المدن وتسمى أيضاً Abel Habal Alulbeth وتدعى أيضاً آبل. وعلى مذهب كلمت أن هذا هو Abel Maim أو Maece معكة، وهو المحل المشار إليه في سفر التكوين (١٤: ١٥) «وتعرف عليهم ليلاً هو وعبيده فكسروهم وأتبعهم إلى (حوبة) التي عن يسار دمشق حيث توقف إبراهيم عن مطاردة كورلاومر والملوك الذين معه. ويوآب حاصر آبل وكان شابع المتمرد على داود الملك قد لجأ إليها (٢ ملوك ٢٠: ١٤). وكان قد جاوز شابع بن بكري جميع أسباط إسرائيل إلى آبل وبيت معكة. فجاءوا وحاصروا في آبل بيت معكة» (ملوك ٢٠: ١٢ - ١٥).

وأتى على ذكرها لوقا في انجيله «في السنة الـ ١٥ من ملك طيباريوس قيصر حين كان بيلاطوس النبطي والياً على اليهودية وهيرودس رئيس الربع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على ايطورية وبلاد تراكونتسي وليسانيوس رئيس ربع على ايلينية وحنان وقيفا رئيس الكهنة كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية» (لو ١: ٣).

(آثار سوق وادي بردی) ذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سورية ٣١٦/٣١٧: ووجد في أخربة الأبلية (سوق وادي بردی) في حائط معبد، كتابة تدل على أن ليسيانوس رئيس الربع في الأبلية وله خادم اسمه نمغا وليسيانوس هذا ابن بتلميس الثاني.

وقال في التاريخ نفسه (٣: ٣١٩) أيضاً: «وجد في (أبلية) خيطان منقوشان على جانبي الطريق [لوحة] هناك كتب فيها: (إن العاهلين مرقس إيلیوس (أنطونيوس) ولوشوس فاروس [قد] فتحا طريق النهر بخرقهما الجبل على نفقة أهل الأبلية بعناية فاروس صديقهما. والي سورية بين سنة ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ م».

وفي دليل بيدكر: «سوق وادي بردی قرية محاطة بالحدائق الغناء وتعرف قديماً باسم (أبيلا لوسا) ذكرها بطليموس. والمقاطعة المحدقة بها اسميت (بيلين) كما ذكر يوسفوس المؤرخ أنها ربع آيالة لوسيانوس، وذكرها لوقا البشير في السنة الخامسة عشرة لطياريوس قيصر: لوسيانوس رئيس ربع أبيلين ولم تذكر إلا في السنة الرابعة قبل الميلاد لما قسمها

(١) ومرقس هذا أنشأ طريق نهر الكلب بين سنتي ١٧٢ و ١٨٠ م.

ورثة هيرودس الكبير، ثم أهداها الرومان^(١)، ورواية من القرن السادس عشر تقول إن قايين قتل هابيل في فسحة إلى الغرب (حسب القرآن)^(٢). فوق القرية كثير من القبور الحجرية. اسم أبيلية من هابيل وعلى تل عالٍ إلى الغرب حيث ذبح قايين هابيل هيكل نحو ١٥ يرداً طولاً 8¼ يرداً عرضاً وإلى الشرق في آخر الهيكل قبر مقبب بدرجات في الصخر. الجسر على بعد عشر دقائق فوق القرية ونحو مائة قدم فوق النهر على الشاطئ الشمالي طريق قديمة من ٣ [أذرع] عرضاً مقطوعة في الصخر على بعد ٣٠٠ خطوة. وفي أمكنة حرف صخر ترك ليكون حاجزاً أو سوراً من الطريق محفوظة بحائط أو سور وكانت تنتهي بجسر أو قنطرة. وإلى الشمال الشرقي تنتهي الطريق بأجدور (جرف أو هوة) وكتابة لاتينية على الصخر تشير أن هذه الطريق أنشئت في مدة ملك [...] مرقس أوريليوس (Marcus Aurelius) ولوسيوس فاروس Lucius Verus قبل الثاني للميلاد بقليل. وعلى خطوات قليلة تحت الطريق تجري قناة قديمة، وقد حفر قسم منها في الصخر المنحرفة، وربما استعملت بمثابة مدخل أو موصل إلى بعض القبور الصخرية (راجع أساقفة أبيلية).

(وسوق وادي بردى) وكانت قديماً تسمى الأبيلية أو آبل السُّوق وآبل معناها أوفر أو مرج بينها وبين دمشق نحو ١٨ ميلاً أو خمس ساعات إلى ست وهي قرية كبيرة جميلة الموقع نزهة في غوطة دمشق الغربية من ناحية وادي بردى يتخللها ذلك النهر فيسقي أراضيها. وموقعها في ثغرة بديعة يجري فيها إلى سهول دمشق. وهي إلى الشمال الشرقي من دمشق. ذكرها يوسيفوس المؤرخ اليهودي باسم آبل لبنان وتسمى آبل ليسانياس أو أبيلة أو أبيلا أي هابيلية نسبة إلى هابيل الذي له مزار في تلة فوقها إلى اليوم. وكانت ربعاً، أي مقاطعة في الدرجة الرابعة من الولاية لحاكمها ليسانيوس أوليسانياس، وإليه نسبت واطلع الرحالة بوكوس على كتابة يونانية تدلّ على هذا الحكم ولم يطلع غيره عليها. وبذلك تميزت عن أبيلية تبيرية وهي عاصمة أيلة أبيلية في سورية. وكان ليسانيوس الرئيس ربع عليها في

(١) عدة كلمات غير مقروءة في الأصل.

(٢) لا يذكر القرآن المكان الذي قتل فيه قايين هابيل. لكن بعض كتب التفسير المتأخرة تشير إلى أن حادثة القتل قد وقعت في جبل قاسيون (راجع سورة المائدة، الآيات ٢٧-٣١) (المحقق).

أيام يوحنا المعمدان. وموقع مدينة أبيلا بديع، وإليها أشار ابن المنير الطرابلسي بقوله من أبيات^(٣):

فالماطرون فدارياً فجارتها فآبل فمغافي دير قانون
تلك المنازل لا وادي لاتراك ولا رمل المصلّى ولا أثلاث ييرين

وإلى آبل هذه ينسب أبو طاهر المقري الآبلي المعروف بابن خراشة الأنصاري الخزرجي الذي ذكر بين العلماء.

والظاهر أنها اتخذت سوقاً لوادي بردى عرضت فيها مبيعاته فسميت باسمه لأنها كانت عاصمة البقاع. وعلى طريقها في سفح الجبل الشمالي على يسار الذهاب إلى دمشق ثماني مغاور بديعة في إحداها كراسٍ منحوتة بالحجر. قال السائح ستيلي ماما قونية ما تعريبه عن الإنكليزية: أبيلية (أو سوق بردى أو الغوش) أو (قبر هابيل) يوجد فيها سبع سنديانات، والرواية المتناقلة عند السكان أن قابيل (قايين) ولد آدم كان العالم كله لهما، فتخاصما فهابيل نقل تخم حصته بعيداً، فرماه قايين بالتخم فسقط ميتاً. وحمل جثته حزناً خمسة آلاف سنة متحيراً ماذا يعمل بها. فرأى أخيراً على رأس التلة فوق السوق طيرين يتحاربان فقتل أحدهما الآخر ثم غسله وطمره في الأرض. فعمل قايين كذلك بأخيه وغرس عكازه (عصاه) على قبره علامة له فنبت منه سبع سنديانات لا تزال إلى الآن.

(بطرونة) وعلى طريق بطرونة على بعد عشر دقائق عن نبع بردى قرب السيلكة خرابات قلعة قديمة وكانت تلك البلدة مدينة قديمة وقصة العمود موجودة قرب المحطة اليوم سنة ١٩٢٣ م (حين كتابة هذه).

(٣) أحمد بن منير الطرابلسي (سبقت ترجمته)، والماطرون وداريا وآبل ومغافي ودير قانون هي أسماء قرى ومواقع في المنطقة. (راجع ديوانه الذي جمعه وقدم له المؤرخ د. عمر عبد السلام التدمري، دار الجيل، بيروت، عام ١٩٨٦ م.) (المحقق).